

أحلى الحكايات
من كتاب
جمع الجواهر

للحصري القيرواني



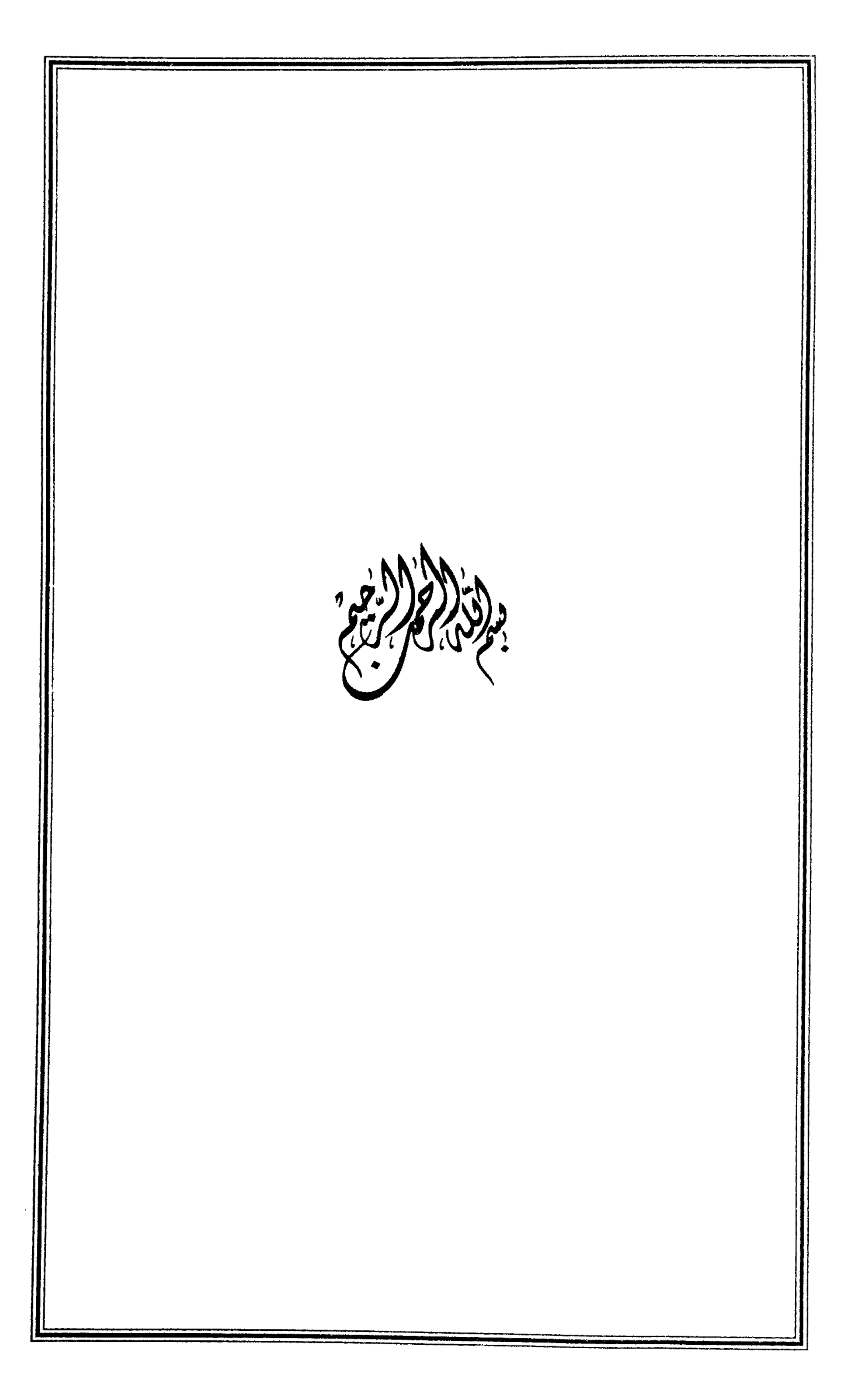



رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

أحلى الحكايات

من كتاب

جمع الجواهر


بسم الله الرحمن الرحيم



أحلى الحكايات

من كتاب

جمع الجواهر

للحصري القيرواني

اختارها ووضع حواشيها
رمزي رامز حسّون



دار ابن حزم

الطَّبْعَةُ الأولى
١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان - ص.ب: ١٤/٦٣٦٦ - تلفون: ٧٠١٩٧٤



هذه السلسلة

«أحب قراءة القصص والحكايات المبثوثة في ثنايا كتب أدبنا العربي القديم، غير أني لا أجد في نفسي الصبرَ على أسلوب تلك الكتب أو طولها.

ربما اشترك في هذا الرأي الكثير من القراء في هذه الأيام، وهو ـ وإن لم يَرْقَ إلى التعبير عنه بلسان المقال ـ فلا شكّ أنه مُعبَّرٌ عنه بلسان الحال. إنه جزء من الضريبة التي ندفعها إذ نعيش في زمان السرعة والوجبات الخفيفة.

لكنْ هل نواجه هذه المشكلة بالاستسلام وهجران تراثنا الأدبي والانكفاء إلى ثقافة الصحف والمجلات؟

أردنا أن نقول: «لا»، فبدأنا ـ من أجل ذلك ـ بإصدار هذه السلسلة، نختار فيها بعضاً من أثرى كتب أدبنا القديم بالقصص والحكايات الممتِعة المفيدة، ثم ننتقي

منها أفضل وأجمل ما فيها لنقدّمه واضحاً مبسَّطاً، قد شُرحت غوامض مفرداته، وحُرِّر من أسلوب العرض المُمِلِّ القديم.

محاولة جادّة، ونرجو أن نكون فيها مجيدين ناجحين.



المؤلف والكتاب

مؤلف هذا الكتاب هو أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني. وهو من سكان مدينة القيروان في القرن الخامس الهجري؛ ولد وعاش فيها، وفيها مات سنة **٤٥٣**هـ.

كان شاعراً أديباً نقّاداً، يحب المجانسة والمطابقة ويرغب في الاستعارة تشبّهاً بأبي تمام في شعره. له شعر رقيق منه قوله:

يا هَلْ بكيتِ كما بكَتْ ... وَرَقُ الحمائمِ في الغصونْ
هتَفَتْ سحيراً والرُّبى ... للقَطْرِ رافعةُ الجفونْ
فكأنها صاغَتْ على ... شجوي شجى تلك اللحونْ

وهو ابن خالة الشاعر أبي الحسن الحصري الضرير صاحب القصيدة التي نالت شهرة وانتشاراً نادرين لم تعرفهما قصيدة غيرها: «يا ليلُ الصبُّ متى غده...».

ولمؤلفنا أبي إسحاق ـ سوى هذا الكتاب ـ مؤلفات

منها: «زهر الآداب وثمر الألباب» ومختصره «نور الطرف ونَوْر الظرف» و«المصون في سرّ الهوى المكنون».

أما هذا الكتاب فقد طبع قديماً ذيلاً على كتب زهر الآداب، فهما متشابهان في الشكل والأسلوب وكلاهما يجمع باقات من الأخبار والنوادر للمؤلف نفسه، ثم صدر حديثاً في بيروت منفرداً باسمه الأصلي «جمع الجواهر في المُلَح والنوادر» بتحقيق جيد لرحاب عكاوي.

وقد جمع فيه مؤلفه ـ كما قال في مقدمته ـ باقة من «نوادر المتقدمين والمتأخرين، وجواهر العقلاء والمجانين، وغرائب السقّاط والفضلاء، وعجائب الأجواد والبخلاء، وطُرَف الجهّال والعلماء، وتُحَف المغفلين والفُهماء، ونُتَف الفلاسفة والحكماء، وبدائع السُّؤّال والقُصّاص، وروائع العوامّ والخواصّ». ثم قال: «وقد جعلت ما عملت مُدَبَّجاً مُدَرَّجاً لتلذ النفس بالانتقال من حال إلى حال؛ فقد جُبلت على محبة التحوّل وطُبعت على اختيار التنقّل».

وبعد ذلك راح يسوق ما لديه من حكايات وقصص وطرائف ونوادر وأخبار، يجمعها جمعاً بعضها فوق بعض من غير أن يرتبها في فصول أو أبواب كما صنع بعض من صنّف في هذا النوع من أنواع الأدب.

❁ ❁ ❁

☐ رُوي أن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال: من كانت فيه دُعَابة فقد برىء من الكِبْر.

وما زال الأشراف يمزحون ويسمحون بما لم يغضّ من دياناتهم، ولا يقدح من مروءاتهم، وقد قال النبي ﷺ: «إني لأَمزح ولا أقول إلاّ حقًّا».

فمن مُزاحه ﷺ ما رَوى أَنس بن مالك قال: كان لنا أخ يكنى أبا عُمَير، وكان له نُغَر[1] يلعب به. فدخل رسول الله ﷺ فرآه حزيناً فقال: «**ما له؟**» قالوا: مات نُغَره، فكان إذا رآه بعد ذلك قال: يا أبا عُمَير، ما فعل النُّغَيْر؟

❁ ❁ ❁

☐ وكان رجل من أشجع يقال له زاهر بن حرام

---

(١) النُّغَيْر: تصغير النُّغَر، وهو فرخ العصفور.

لا يزال يأتي النبيَّ ﷺ بالهدية من البادية والطُّرْفَة، وكان رسول الله ﷺ يقول: «**إن زاهراً باديتُنا ونحن حاضِرُوه**».

فبينما هو في بعض أسواق المدينة إذ أتاه النبي ﷺ من ورائه فاحتضنه وقال: «**من يشتري منّي هذا العبد؟**».

فالتفت الرجل فإذا هو برسول الله ﷺ. فقبَّل يده وقال: تجدني كاسداً يا رسولَ الله.

فقال: «**لا؛ لكنك عند الله رَبيح**».

❁ ❁ ❁

❑ وأتت إليه ﷺ امرأة فذكرت زوجها بشيء. فقال: «**زوجك الذي في عينه بياض**». قال: فمضت فجعلت تتأمل زوجها فقال: ما لك؟

قالت: قال لي النبي ﷺ إن في عينك بياضاً.

فقال: بياض عيني أكثرُ من سوادها.

❁ ❁ ❁

❑ وأما سماعه ﷺ لذلك فقد رُوي أن صُهَيباً دخل عليه وعَيْنُه وجعة وبين يديه تمر، فأقبل صُهَيب يأكل؛ فقال: «**أتأكلُ التمرَ وعينُك وجِعَة؟**» فقال: إنما آكل بحذاء العين الصحيحة، فتبسم ﷺ.

وذكروا أن أعرابياً أتاه فألفاه مغموماً ممتقع اللون؛ فقيل له: لا تكلمه وهو على هذه الحالة، فقال: لا أدعه أو يضحك.

ثم جثا بين يديه فقال: يا رسول الله؛ بأبي أنت وأمي! إن الدجال يخرج وقد هلك الناس جوعاً فيأتيهم بالثريد، فترى أن آكل من ثريده حتى إذا تضلعت[1] كذبته؟

فضحك ﷺ وقال: يغنيك الله بما يغني به المؤمنين حينئذ.

❁ ❁ ❁

❑ وقالت أم سلمة: خرج أبو بكر رضي الله عنه في تجارة إلى البصرة، قبل وفاة النبي ﷺ، ومعه سويبط بن حرملة (وكان قد شهد بدراً) ونعيمان[2]، وكان سويبط على

---

(١) يقال: شرب حتى تضلّع أي انتفخت أضلاعه من كثرة الشرب، امتلأ شبعاً وريّاً، ومنه تضلّع في العلوم أي نال منها حظّاً وافراً.

(٢) النُعيمان بن عمرو بن رفاعة النجاري الأنصاري: مزّاح، من الصحابة من أهل المدينة، كان يُضحك النبي ﷺ كثيراً. وكان مع ذلك من شجعان الأنصار، شهد بدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلها، وتوفي في خلافة معاوية نحو سنة ٤١هـ.

الزاد، وكان نعيمان مزاحاً، فقال له نعيمان: أطعمني، فقال: حتى يجيء أبو بكر، فقال: أما لأغيظنك.

فمرّوا بقوم فقال نعيمان: أتشترون مني عبداً؟

فقالوا: نعم!

فقال: إنه عبد له كلام، وهو قائل لكم إنه حر، فإذا قال هذه المقالة تركتموه، فلا تفسدوا علي عبدي.

فقالوا: بل نشتريه.

قال: فاشتروه مني بعشر قلائص.

ثم أخذوه فوضعوا في عنقه حبلاً، فقال سويبط: إني حر ولست بعبد وهذا يستهزىء بكم.

فقالوا له: قد خبّرنا خبرك.

فانطلقوا به، فجاء أبو بكر فأخبروه الخبر، فاتبع القوم فرد عليهم القلائص وأخذ منهم سويبطاً.

ولما قدموا على النبي ﷺ فأخبروه الخبر، ضحك ﷺ وأصحابه حوله.

❁ ❁ ❁

❑ وابتاع عبد الله بن رواحة جارية وكتم ذلك امرأته، فبلغها ذلك فالتمست كونه عندها فأخبرت بذلك، فلما

جاءها قالت له: بلغني أنك ابتعت جارية وأنك الساعة خرجت من عندها، وما أحسبك إلا جنباً؟

قال: ما فعلت.

قالت: فاقرأ آياتٍ من القرآن.

فقال:

شهدتُ بأنّ وَعْدَ اللَّهِ حقٌّ
وأنّ النارَ مثوى الكافرينا
وأنّ العرشَ فوقَ الماءِ طافٍ
وفوقَ العرشِ ربُّ العالمينا
وتحمِلُهُ ملائكةٌ شِدادٌ
ملائكةُ الإلهِ مُقرَّبينا

فقالت: أما إذ قد قرأت القرآن فقد علمت أنك مكذوب عليك.

❁ ❁ ❁

❑ وافتقدته ليلةً أخرى فلم تجده على فراشها، فلم تزل تطلبه حتى قدرت عليه في ناحية الدار، فقالت: الآن صدقت ما بلغني.

فجحدها، فقالت: اقرأ آيات من القرآن، فقال:

وفينا رسولُ اللَّهِ يتلو كتابَهُ
كما انشقَّ معروفٌ من الفجر ساطعُ
أرانا الهدى بعد العَمَى فقلوبُنا
به موقناتٌ أنّ ما قال واقعُ
يبيت يجافي جَنْبَه عن فراشِهِ
إذا أثقلت بالمشركين المضاجعُ
وأعلمُ علماً ليس بالظنِّ أنني
إلى الله محشورٌ هناك فَرَاجِعُ

فقالت: آمنت بالله وكذبت ظني.

فأخبر بذلك النبي ﷺ؛ فضحك وقال: هذا لعمري من معاريض الكلام، يغفر الله لك يا ابن رواحة؛ خياركم خيركم لنسائكم.

❁ ❁ ❁

❑ وقيل لابن سيرين[1]: إن قوماً يرون أن إنشاد الشعر ينقض الوضوء؛ فقال:

---

(١) محمد بن سيرين البصري الأنصاري بالولاء: إمام وقته في علوم الدين بالبصرة. تابعي اشتهر بالورع وتعبير الرؤيا، واستكتبه أنس بن مالك بفارس، وكان أبوه مولى لأنس. توفي في البصرة سنة ١١٠هـ.

نُـبِّـئـتُ أن فـتـاةً كـنـت أخـطـبـهـا

عرقوبُها مثلُ شهر الصومِ في الطُّولِ

ثم قال: «الله أكبر»، ودخل في الصلاة.

۞ ۞ ۞

❑ وقال رجل للحسن البصري[1] رحمه الله: ما تقول في رجل مات وترك أبيه وأخيه؟

فقال: أُغيلمة إن فهّمناهم لم يفهموا، وإن علمناهم لم يعلموا، قل: ترك أباه وأخاه.

فقال له: فما لأباه وأخاه؟

فقال الحسن: قل: لأبيه ولأخيه.

قال: أرى كلما تابعتك خالفتني.

۞ ۞ ۞

❑ قال أحمد بن الطيب السرخسي تلميذ أحمد بن إسحاق الكندي: كنت يوماً عند العباس بن خالد، وكان

---

(١) الحسن بن يسار: تابعي وإمام أهل البصرة وحبر الأمة في زمانه، وأحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النسّاك. كان يدخل على الولاة فيأمرهم وينهاهم ولا يخاف في الله لومة لائم. توفي سنة ١١٠هـ.

ممن حبب إليه أن يتحدث، فأقبل يحدثني وينتقل من حديث إلى حديث، وكان في صحن منزله، فلما بلغتنا الشمس انتقلنا من موضع إلى موضع آخر حتى صار الظل فيئاً.

فلما أكثَرَ وأضجَرَ، ومللت حسن الأدب في حسن الاستماع، وذكرت قول الأوزاعي: «إن حسن الاستماع قوة للمحدث»، فقلت له: إذا كنت وأنا أسمع قد عييت ممّا لا كُلْفَة عليّ فيه؛ فكيف بك وأنت المتكلم؟

فقال: إن الكلام يحلِّل الفضول الغليظة التي تعرض في اللهوات وأصل اللسان ومنابت الأسنان.

فوثبت وقلت: ما أراني معك إلا أيارج الفيقرا[1] إذ أنت تتغرغر بي منذ اليوم، والله لا أجلس.

واجتهد بي فلم أفعل.

❁ ❁ ❁

❑ وكان أبو السائب كثير الطرب، غزير الأدب، وله فكاهات مذكورة، وأخبار مشهورة. وكان جده يكنى أبا

---

(١) الأيارج جمع الإيارجة وهي تعريب أياره، وهو معجون مسهّل.

السائب أيضاً، وكان خليطاً[1] للنبي ﷺ قبل الإسلام؛ وأقبل الإسلام فكان النبي ﷺ إذا ذكره يقول: نعم الخليط كان أبو السائب؛ لا يداري ولا يماري.

وقال الزبير: حدثني جدي قال: أتاني أبو السائب المخزومي في ليلة بعدما رقد الناس، فأشرفت عليه وقلت: هل من حاجة؟

فقال: سهرت فذكرت أخاً لي أستمتع به فلم أجد أحداً سواك، فلو مضيت بنا إلى العقيق فتناشدنا وتحدثنا؟

قلت: «نعم». فنزلت فما زال في حديث إلى أن أنشدته في بعض ذلك بيتَي العَرْجي:

باتَا بأنعَمِ ليلةٍ حتى بَدَا
صبحٌ تَلوَّحَ كالأغرِّ الأشقَرِ
فتلازَما عند الفراقِ صبابةً
أخْذَ الغريمِ بفَضْل ثوب المعسِرِ

فقال: أعده، فأعدته، فقال: أحسنت والله! وامرأتي طالق إن نطقتُ بحرف غيره حتى أرجع إلى بيتي.

---

(١) الخليط هو الصاحب والجار، وخليط الرجل مُخالِطه كالجليس والمُجالِس.

فمضينا فتلقانا عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب وهو منصرفٌ من ماله[1] يريد المدينة، فقال: كيف أنت يا أبا السائب؟ فقال:

فتلازما عند الفراق صبابةً
أخذ الغريم بفضل ثوب المعسر

فالتفت إليّ، وقال: متى أنكرت عقل صاحبك؟

قلت: منذ الليلة.

قال: لله أي كهلٍ أُصيبَتْ به قريش!

ثم مضينا فلقينا محمد بن عمران التيمي قاضي المدينة يريد مالاً له على بغلة، وكان أثقل الناس جسماً، ومعه غلام له على عنقه مِخلاةٌ فيها قيد البغلة، فسلّم عليه ثم قال: كيف أنت يا أبا السائب؟ فقال:

فتلازما عند الفراق صبابةً
أخذ الغريم بفضل ثوب المعسر

فالتفت إليّ وقال: متى أنكرتَ عقل صاحبك؟

قلت: آنفاً.

---

(١) المال: كل ما يُملك من متاع أو عروض تجارة أو عقار أو نقود. ولعل المقصود هنا أنه كان راجعاً من أرض له.

فتركني وانصرف، فقلت: أفتدعه هكذا؟ ما آمن أن يتهور في بعض آبار العقيق.

قال: صدقت، يا غلام، هات قيد البغلة. فوضعه في رجله وهو ينشد البيت ويدافع بيده؛ فلما أطال نزل الشيخ عن البغلة وقال: يا غلام، احمله على بغلتي وألحقه بأهله.

فلما كان بحيث علمت أنه قد فاته أخبرته الخبر، فضحك وقال: قبّحك الله ماجناً؛ فضحتَ شيخاً من قريش وعذبتني وأنا لا أقدر أن أتحرك.

❁ ❁ ❁

❑ وكان بَديح أحلى الناس وأذكاهم، وهو الذي قال له الوليد بن يزيد: يا بديح؛ خذ بنا في الأماني، فإني أغلبك فيها.

فقال: يا أمير المؤمنين، أنا أغلبك لأني فقير وأنت خليفة، وإنما يتمنى المرء ما عسى أن يبلغ إليه وأنت قد بلغت الآمال.

قال: لا تتمنى شيئاً إلا تمنيت ما هو أكثر منه.

قال: فإني أتمنى كِفْلَين من العذاب وأن يلعنني الله لعناً وبيلاً.

فقال: اعزُبْ[1] لعنك الله دون خلقه.

❁ ❁ ❁

❑ ودخل عبد الله بن جعفر على عبد الملك بن مروان وقد اشتكى عرق النسا، فقال: يا أمير المؤمنين، إن مولاي بديحاً أحذق الناس برقيته.

قال: أتجيئني به؟

فجاءه به فرقا؛ فبات تلك الليلة هادئاً، فلما أصبح سأله عبد الله بن جعفر عن حاله، فأخبره بما وجد من العافية؛ ثم قال لبديح: اكتب لنا هذه الرقية لتكون عندنا.

قال: لا أفعل.

قال: أقسمت عليك لتفعلن.

قال: اكتب:

ألا إنّ أيامي وأيامَكِ التي
مضَيْنَ لنا لم أَدْرِ ما ألمُ الهَجْرِ

(١) عزب وأعزب: أي بعد وغاب وخفي، فهو عازب.

مـضَـيْـنَ ومـا شـيءٌ مـضـى لـكِ عـائـدٌ
فـهـل لـكِ فـيـهـا إنْ تـولَّـيْـنَ مـن عُـذرِ
دَعِي ما مضى واستقبلي العيشَ إنني
رأيتُ لـذيـذَ العـيشِ مُستَقْبِلَ العُمْرِ
فـمـا نـازَعَ الـدهـرُ امـرأً فـي انـقـلابـه
فـأعـتَـبَـه إلاَّ بـقـاصـمـةِ الـظَّـهْـرِ

فقال عبد الملك: فأيّ شيء هذا؟

قال: امرأتي طالقٌ إن كنت رقيتك إلا بهذه!

قال: ويحك! استر علينا.

قال: كيف أستر ما سارت به الركبان؟

❖ ❖ ❖

❑ قال الأصمعي: خرج الحجاج متصيداً، فوقف على أعرابي يرعى إبلاً وقد انقطع عن أصحابه، فقال: يا أعرابي، كيف سيرة أميركم الحجاج؟

فقال الأعرابي: غشوم ظلوم، لا حيّاه الله ولا بيّاه[1].

---

(١) بيّاه الله بمعنى بوأه؛ أي: ملكه ورفع مقامه.

قال الحجاج: فلو شكوتموه إلى أمير المؤمنين؟

فقال الأعرابي: هو أظلم منه وأغشم، عليه لعنة الله!

فبينا هو كذلك إذ أحاطت به جنوده، فأومأ إلى الأعرابي فأُخذ وحُمل، فلما صار معهم قال: من هذا؟

قالوا: الأمير الحجاج.

فعلم أنه قد أُحيط به، فحرك دابته حتى صار بالقرب منه، فناداه: أيها الأمير.

قال: ما تشاء يا أعرابي؟

قال: أحب أن يكون السر الذي بيني وبينك مكتوماً.

فضحك الحجاج وخلى سبيله.

❁ ❁ ❁

❑ وخرج مرة أخرى فلقي رجلاً. فقال: كيف سيرة الحجاج فيكم؟

فشتمه أقبح من شتم الأول حتى أغضبه، فقال: أتدري من أنا؟

قال: ومن عسيت أن تكون؟

قال: أنا الحجاج.

قال: أو تدري من أنا؟

قال: ومن أنت؟

قال: أنا مولى بني عامر، أجن في الشهر مرتين هذه إحداهما.

فضحك وتركه.

❁ ❁ ❁

□ وقدم المهدي المدينة، فخرج ليلة إلى مسجد رسول الله ﷺ مستخفياً ليصلّي، فبينما هو كذلك إذ جاء مدني فقام إلى جانبه يصلي، فلما قضى صلاته قال للمدني: أقدم خليفتكم؟

قال: نعم، فعل الله به وفعل وأراحنا منه.

وجعل يدعو على المهدي وانصرف؛ فدخل عليه الربيع[1]؛ فقال: يا ربيع؛ جلس إلى جانبي البارحة مدني فما ترك دعاءً إلا ودعا به عليّ.

فقال: أتعرفه؟

---

(١) الربيع بن يونس من موالي بني العباس، من العقلاء الموصوفين بالحزم. اتخذه المنصور حاجباً ثم استوزره، وإليه تنسب قطيعة الربيع ببغداد. توفي سنة ١٦٩هـ.

قال: نعم، إذا رأيته.

ثم ركب المهدي واجتمع أهلُ المدينة ينظرون، فوقعت عينه على الرجل؛ فقال: يا ربيع؛ ألا ترى الرجل الذي صفته كذا وكذا؟ هو ذاك صاحبي.

فأمر به الربيع فأُخذ، فلما رجع المهدي دعا به، فقال: يا هذا، هل أسأت إليك قط؟

قال: لا.

قال: فهل لك مظلمة تطالبني بها؟

قال: لا.

قال: فما دعاؤك علي حين صليتَ إلى جانبي؟

فقال المدني: فديتك والله! وعتق ما أملك؛ وامرأتي طالق إن لم أكن أغيّر كنيتي في اليوم مرتين وثلاثاً للملال.

فضحك المهدي وأحسن صلته.

۞ ۞ ۞

□ وخرج ابن أحمد المدني أيام العصبية إلى أذربيجان، فلقيه فرسان، فسقط في يده، فقال: الساعة يسألونني من أنا؟ وأخاف أن أقول مضري وهم يمانية، أو يماني وهم مضرية، فيقتلونني.

فقربوا منه وقالوا: يا فتى، ممن أنت؟

قال: ولد زنا، عافاكم الله!

فضحكوا منه، وأعطوه الأمان، فأخبرهم بنفسه، فأرسلوا معه من يوصله إلى مقصده.

❁ ❁ ❁

❑ وخرج الربيع من عند أبي جعفر المنصور فقال: أمير المؤمنين يسأل من يعرف من يشبهه من خلفاء بني أمية أن يذكر ما عنده.

فقال أبو بكر بن عياش المنتوف: أنا أعرف ذلك، ولكن لا أقول إلا مشافهة.

فدخل ثم خرج فقال: أمير المؤمنين يقول لك: قد علمت أنك إنما تطلب الدخول لتتوسَّلَ إلى أموالنا، فادخل.

فدخل فقال له: من أشبه من خلفاء بني أمية؟

فقال: عبدَ الملك بن مروان.

قال: كيف قلت ذلك؟

قال: لأن أول اسمك عين وهو أول اسمه عين، وأول اسم أبيه ميم، وأول اسم أبيك ميم، وقتل ثلاثة أول أسمائهم عين وكذلك أنت.

قال: ومن قتل؟

قال: عبدَ الله بن الزبير، وعبدَ الرحمن بن محمد بن

الأشعث، وعمرو بن سعيد بن العاص. وقتلتَ يا أمير المؤمنين عبد الرحمن بن مسلم - يريد أبا مسلم الخراساني - وعبد الجبار بن عبد الرحمن الخارجي.

قال: وأردت أن أقول، وقتلت عبد الله بن علي عمك، فعرفت أنه يكره ذلك؛ لأنه أسقط عليه البيت الذي كان فيه، وادعى أن البيت سقط، فقلت: وسقط الحائط على عبد الله بن علي.

قال: فالحائط سقط عليه، فما علينا؟

فقلت: لا شيء يا أمير المؤمنين. وهاهنا حائط آخر مائل على صاحب عين أخرى وهو عيسى بن موسى، إن لم تدعموه بفضلكم خفت أن يسقط.

فضحك ثم قال: أولى لك.

(وقد كان عيسى بن موسى[1] يُسامُ في نَزْعِ البيعة، وهو مُضيَّقٌ عليه).

۞ ۞ ۞

---

(١) عيسى بن موسى بن محمد العباسي، أبو موسى: أمير من الولاة القادة، وهو ابن أخي السفاح. ولاّه عمه الكوفة سنة ١٣٢هـ وجعله ولي عهد المنصور، فاستنزله المنصور عن ولاية عهده سنة ١٤٧هـ وجعل له ولاية عهد ابنه المهدي، فلما ولي المهدي خلعه بعد تهديد ووعيد عام ١٦٠هـ، فأقام في الكوفة إلى أن توفي عام ١٦٧هـ.

❑ وخرج المأمون منفرداً فإذا بأعرابي فسلَّم عليه.

فقال: ما أقدمك يا أعرابي؟

قال: الرجاء لهذا الخليفة، وقد قلت أبياتاً أستمطر بها فضله.

قال: أنشدنيها.

قال: يا ركيك، أو يحسن أن أنشدك ما أنشد الملوك؟

فقال: يا أعرابي، إنك لن تصل إليه ولن تقدر مع امتناع أبوابه وشدة حُجَّابه، ولكن هل لك أن تنحلنيها، وهذه ألف دينار فخذها وانصرف ودعني أتوسل، لعلي أتوصل؟

قال: لقد رضيت.

فبينما هما في المراجعة إذ أحدقت الخيل به وسلم عليه بالخلافة، فعلم الأعرابي أنه قد وقع، فقال: يا أمير المؤمنين؛ أتحفظ من لغات اليمن شيئاً؟

قال: نعم!

قال: فمَن يبدل القاف كافاً؟

قال: بنو الحارث بن كعب.

قال: لعنها الله من لغةٍ لا أعود إليها بعد اليوم[1].

فضحك المأمون وأمر له بألف دينار.

❁ ❁ ❁

❑ وكان المأمون قد حرّم الغناء وشدد فيه، فلقي علي بن هشام إسحاق بن إبراهيم الموصلي على الجسر، فقال إسحاق لعلي بكلام يخفيه: قد زارتني اليوم فلانة، وهي أطيب الناس غناءً، فبحياتي إلا كنتَ اليوم عندي.

فوعده بالحضور، وتفرقا. وإذا بطفيلي يسمع كلامهما، فمضى من وقته فلبس ثياباً حسنة، واستعار من بعض إخوانه بغلة فارهة بسرجها ولجامها فركبها وأتى باب علي بن هشام بعد أن نزل من الركوب بساعة، فقال للحاجب: عرف الأمير أن رسول صاحبه إسحاق بن إبراهيم بالباب.

فدخل الحاجب وخرج مسرعاً وقال: ادخل جُعلت فداك.

فدخل على عليّ فرحّب به، فقال له: يا سيدي، يقول لك أخوك: تعلم ما اتفقنا عليه فلم تأخرت عني؟

---

(١) تخلّصاً من قوله قبل ذلك: «يا ركيك»؛ يريد أنه قصد أن يقول: «يا رقيق».

فقال له: الساعة وحياتك نزلت من الركوب، والساعة أغير ثيابي وأوافيه.

فاستوى على دابته ووافى منزل إسحاق؛ فقال للحاجب: عرف الأمير أني رسول علي بن هشام، فدخل الحاجب وخرج فقال: ادخل، جعلني الله فداك.

فدخل فسلّم وقال: أخوك يقرئك السلام ويقول لك: الساعة نزلت من الركوب، وقد غيرت ثيابي وتأهبت للمسير فما ترى؟

فقال: قل له: يا سيدي قتلتنا جوعاً، فبحياتي إلاّ ما حضرت.

فرجع إلى باب علي وقال للحاجب: تعرّفه أن الأمير أمرني ألا أبرح أو يجيء معي.

فغير علي بن هشام ثيابه، وركب دابته، وتبعه الطفيلي حتى نزل بباب إسحاق بن إبراهيم، ونزل الطفيلي معه، ودخلا جميعاً فسلما وجلسا، وجيء بالطعام فأكلوا، وإسحاق لا يشك أنه أخص الناس بعلي، وعلي لا يشك أنه أخص الناس بإسحاق.

ثم غسلوا أيديهم وقدموا الشراب، وخرجت جارية من أحسن الناس وجهاً وزياً، فجلست وأُتيت بعود، فغنَّت أحسن غناء، ودارت الأقداح فلم يزالوا على ذلك إلى بعد العصر.

وأخذ الطفيلي البول حتى كاد يأتي على ثيابه فصبر جهده؛ فلما عيل صبره قام فدخل الخلاء، فقال علي لإسحاق: يا سيدي، ما أخف روح هذا الفتى وأحلى نوادره! فمن أين وقع لك؟

قال: أو ليس هو صاحبك؟!

قال: لا وحياتك ولا رأيته قبل يومي هذا.

قال: فإنه جاءني برسالتك.

وقصَّ قصته؛ وقصَّ إسحاق مثلها، وداخله من الغيظ ما لم يملك معه نفسه؛ وقال: طفيلي يستجرىء عليّ وعلى النظر إلى حُرمي والدخول إلى داري! يا غلمان: السياط والعقابين، المقارع والجلادين[1].

فقامت في الدار جلبة، وأحضروا جميع ذلك، والطفيلي يسمع وهو في الخلاء، ثم إنه خرج رافعاً ثيابه غيرَ مكترثٍ بما فعلوه، وهو مقبل على تكة لباسه يشدّها، ويتمشّى في صحن الدار وهو يقول: جعلت فداك، إيش بقي من جهدك! فهل عرفتني مع هذا كله؟

---

(١) العقابان: خشبتان تُشدّ الرجلان بينهما كما يُشد الجلد.
والمقارع: واحدتها مِقرعة؛ وهي السوط أو كل ما قرعت به.
والجلاد: قطعة من جلد كانت النائحة تضرب بها وجهها.

فقال إسحاق: ومن أنت؟

فقال: أنا صاحب خبر أمير المؤمنين وعيْنه على سره، والله لولا تحرمي بطعامك ومُمالحتي لتركتكما في عمى من أمري، حتى كنتَ تعرف عاقبة حالك وإقدامك على ما فيه هلاكك وفساد أمرك!

فقام إليه إسحاق وعلي يسكتانه وقالا له: يا هذا، إننا لم نعرفك ولم نعلم حالك، ولك الفضل علينا، وأنت المحسن المجمل إلينا؛ ولكن تمم إحسانك بسترك ما نحن عليه.

ثم قال إسحاق: يا غلام، الخِلَع! فأُتي بثيابٍ فاخرة فصبت عليه، وتقدم بإسراج دابة هِمْلاج[1] بسرج مخفف ولجام حسن؛ ولم يزالا به حتى طابت نفسه، ووعدهما كتمان أمرهما، وحضر وقت الانصراف فودعهما وانصرف، فأتبعه إسحاق بخادمه معه صرةٌ فيها ثلاثمئة دينار، فأخذها وركب الدابة ومضى.

فلما كان من الغد دخل علي بن هشام على المأمون. فقال: يا علي؛ كيف كان خبرك أمس؟ (على حسب ما

---

(١) يقال للبرذون الحسن السير هملاج، والدابة التي تحسن السير في سرعة وبخترة يقال لها هملاج أيضاً، يستوي في ذلك الذكر والأنثى، والجمع هماليج.

يجري السؤال عنه)، فتغيّر لونه، ولم يشكّ في أن الحديث رُفع إليه؛ فأكب على البساط يقبله وقال: العفو يا أمير المؤمنين.

قال: لك الأمان.

فأخبره بالقصة من أولها إلى آخرها.

فضحك المأمون حتى كاد يغشى عليه، وقال: ما في الدنيا أملح من هذا. ووجه خلف إسحاق، فلما حضر قال: هيه يا إسحاق؟ كيف كان خبرك أمس؟

فأخبره كخبر علي بن هشام والمأمون يضحك. ثم قال: يا إسحاق، اطلب الرجل وجئني به.

فلم يزل يطلبه حتى وجده، فكان أحد ندماء المأمون.

❁ ❁ ❁

□ ولما ظفر سليمان بن حسن الجنابي[1] يوم

---

(١) هو أبو طاهر القرمطي: زعيم القرامطة، طاغية جبّار. أغار على مكة يوم التروية سنة ٣١٧هـ والناس محرمون فاقتلع الحجر الأسود وأرسله إلى هَجَر ونهب أموال الحجاج وقتل الكثيرين منهم، وعرّى البيت الحرام وأخذ بابه وردم زمزم بالقتلى، ومات بعد ذلك عام ٣٣٢هـ كهلاً بالجدري.

الهبير[١] بالحجاج وقتلهم فأخذ أموالهم، كان في جملة ما أخذ أحمالٌ فيها من رفيع البزّ والثّقَل وظريف الوَشْي[٢] ما أعجبه وأبهته.

فقال: عليّ بصاحب هذه الأحمال.

قال صاحبها: فأتيته فقال: ما منعك أن يكون ما جئت به أكثر من هذا؟

فقلت: لو علمت أن السوق بهذا النفاق لفعلت.

فاستظرفني ودفع إليّ مالاً وجميع ما أخذ لي، وأرسل معي من يحفظني حتى وصلت.

❁ ❁ ❁

□ كان بالبصرة ثلاثة إخوان يتعاشرون ولا يفترقون؛ اثنان شاعران والآخر منجم لا يحسن شيئاً، ففني ما

---

(١) كان ذلك عام ٢٩٤هـ، حيث أقام القرامطة بالهبير ينتظرون قافلة الحجاج الثالثة بعد أن طمّوا الآبار والبرك بالجيف والتراب والحجارة بواقصة والثعلبية والعقبة، ولما صادفوهم قاتلوهم ثلاثة أيام وهم على غير ماء، فاستسلموا لشدة العطش، فوضعوا السيف فيهم وقتلوهم عن آخرهم.

(٢) البَزُّ والوَشْي: أنواع من الثياب. والثَّقَل: المتاع.

بأيديهم[1]، فخرج الشاعران إلى بغداد، فمدحا من بها من الأشراف؛ فرجعا وقد اعتقدا[2] أموالاً نفيسة، وبقي صاحبهما في فقره؛ فقالا له: لو ذهبت فتسبّبت؟

فقال: ما لي صناعة ولا عندي بضاعة.

فقالا: على كل حال معك ظرف ولك لطف.

فخرج إلى بغداد واتصل بيقطين بن موسى[3] وقال: ما أتيت إليك بشيء، غير أني أكذب الناس.

فضحك وخفَّ على قلبه؛ فكان في جملة حاشيته.

فغضب المهدي على عبد الله بن مالك الخزاعي؛ فأتاه الرجل وهو من المهديّ في أشدّ السخط، وقد ألزمه داره؛ فقال للحاجب: استأذن على الأمير، وقل له: رسول الأمير يقطين بالباب.

فدخل وخرج له بالإذن، فدخل وقال: الأمير يقول لك: اليوم كنت عند أمير المؤمنين فذكرته سالف حقوقك

---

(١) أي: لم يبقَ معهم مال.

(٢) اعتقد المال: جمعه، والعقدة هي العقار الذي اعتقده صاحبه؛ أي اقتناه، وفيه بلاغ الرجل وكفايته.

(٣) يقطين بن موسى: داعية عباسي. كان داهية عالماً شجاعاً عارفاً بالحروب والوقائع، ولاّه المهدي عام ١٦٧هـ بناء الزيادة الكبرى في المسجد الحرام.

وقديم خدمتك؛ فعفا عنك، وأمرك بالركوب غداً ليخلع عليك ويجدد الرضا عنك بمحضر الناس.

فسُرَّ عبد الله بذلك، ودفع إلى الرجل مالاً، وبكّر إلى دار المهدي، فاستأذن عليه. فلما دخل قال: ما جاء بك؟ قبحك الله! وقد أمرناك بلزوم دارك؟

قال: أو ما رضيت عني يا أمير المؤمنين، وأمرت يقطيناً بإحضاري؟ فقال: إذن لا رضي الله عني، ولا خطر هذا بقلبي.

قال: فرسوله أتاني بذلك.

قال: علي بيقطين.

فأُتي به فقال: أتكذب علي وتحكي عليّ ما لم أقله؟

قال: وما ذاك يا أمير المؤمنين؟

قال: زعمت أني رضيت عن هذا.

فقال يقطين: وأيمان البيعة يا أمير المؤمنين إن كنت سمعت بشيء من هذا أو قلته.

قال عبد الله: بل أتاني رسولك فلان.

فبعث خلف الرجل بحضرة المهدي، فلما حضر قال: ما هذا الذي فعلت؟

قال: يا سيدي، هذا بعض ذلك[1] المتاع، بدأت في نشره خوفاً عليه من السوس.

فقال المهدي: ما يقول؟

فأخبره يقطين بأول أمره معه، فضحك المهدي وجدد الرضا عن عبد الله بن مالك، ووصل الرجل بصلة جزيلة، ووصله عبد الله بأوفر صلة؛ فانصرف إلى صاحبيه واسع النعمة عظيم المال.

❁ ❁ ❁

□ قيل لأشعب الطماع[2]: لقد لقيتَ التابعين وكثيراً من الصحابة، فهل رويت مع علو سنك حديثاً عن النبي ﷺ؟

فقال: نعم، حدثني عكرمة عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: خَلَّتان لا تجتمعان في مؤمن.

---

(١) أي الذي قاله له حين اتصل به: ما أتيت إليك بشيء، غير أني أكذب الناس.

(٢) ظريف من أهل المدينة. كان مولى لعبد الله بن الزبير، تأدّب وروى الحديث، وكان يجيد الغناء. يضرب المثل بطمعه. عاش عمراً طويلاً، قيل إنه أدرك زمن الخليفة عثمان وسكن المدينة في أيامه، وقدم بغداد أيام المنصور العبّاسي، توفي في المدينة نحو سنة ١٥٤هـ.

قيل: وما هما؟

قال: نسيت واحدة، ونسي عكرمة الأخرى.

❁ ❁ ❁

❑ وساوم بقوس بندق، فقال صاحبها: بدينار.

فقال: والله لو كنت إذا رميت بها طائراً وقع مشوياً بين رغيفين ما اشتريتها بدينار.

❁ ❁ ❁

❑ وأهدى رجل من ولد عامر بن لؤي إلى إسماعيل الأعرج فالوذجة وأشعب حاضر، فقال: كل يا أشعب.

فأكل منها.

فقال له: كيف تراها؟

فحلف بالطلاق إن لم تكن عملت قبل أن يوحي ربك إلى النحل، (أي ليس فيها حلاوة)!

❁ ❁ ❁

❑ ومرّ أشعب برجل يعمل طبقاً من الخيزران؛ فقال له: أريدُ أن تزيد فيه طوقاً أو طوقين.

قال: فما فائدتك؟

قال: لعل أحداً من أشراف المدينة يهدي لنا فيه شيئاً.

❁ ❁ ❁

❑ وكان أشعب يعشق امرأة بالمدينة ويتحدث فيها حتى عرف بها، فقال لها جاراتها: لو سألته شيئاً؟

فأتاها يوماً فقالت: إن جاراتي يقُلْنَ ما يصلُك بشيءٍ.

فخرج عنها ولم يقربها شهرين، ثم أتاها فأخرجت له قدحاً فيه ماء، فقالت له: اشرب هذا للفزع!

فقال: بل أنت اشربيه للطمع.

ومضى فلم يعد إليها.

❁ ❁ ❁

❑ وخرج سالم بن عبد الله[1] متنزهاً إلى ناحية من نواحي المدينة ومعه أهله وحرمه، فبلغ أشعب الخبر، فوافاهم يريد التطفيل؛ فصادف الباب مغلقاً، فتسوَّر الحائط عليهم.

---

(١) سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب: أحد فقهاء المدينة السبعة ومن سادات التابعين وعلمائهم وثقاتهم. توفي في المدينة سنة ١٠٦هـ.

فقال له سالم: ويلك يا أشعب! معي بناتي وحرمي!

فقال له أشعب: (لقد علمت ما لنا في بناتك من حقٍّ، وإنك لتعلم ما نريد)!

فضحك منه وأمر له بطعام أكله وحمل منه إلى منزله.

❁ ❁ ❁

❑ وقال له بعض أصحابه: لو صرت إليّ العشية نتحدث؟

فقال: أخاف أن يجيء ثقيلٌ.

قال: ليس معنا ثالث.

فمضى معه. قال: فلما صلّينا الظهر ودعونا بالطعام إذا بشخص يدق الباب، فقال أشعب: ترى أنا قد صرنا إلى ما نكره؟

قال: فقلت له: إنه صديق وفيه عشر خصال إن كرهت واحدةً منهن لم آذن له.

قال: هات.

قلت: الأوُلى أنه لا يأكل ولا يشرب.

قال: التسع لك، ائذن له.

❁ ❁ ❁

□ وهذا نظير حديث الغاضري وقد أتى الحسن بن زيد وهو أمير المدينة.

فقال: جعلت فداك! إني عصيت الله ورسوله.

قال: بئس ما صنعت! وكيف ذاك؟

قال: لأن الله عز وجل يقول: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾، وقال رسول الله ﷺ: **«لا يُفلِحُ قومٌ ولَّوا أمرهم امرأةً»**. وأنا أطعتُ امرأتي فاشتريت غلاماً فأَبَق.

فقال الحسن: اختر واحدةً من ثلاث؛ إن شئت ثمن الغلام.

فقال: بأبي أنت! قف عند هذه فلا تجاوزها.

قال: أعرض عليك الخصلتين؟

قال: لا، حسبي هذه.

❁ ❁ ❁

□ وغاضبت مصعبَ بن الزبير زوجُهُ عائشة بنت طلحة، فاشتدَّ ذلك عليه وشكا أمره إلى خاصته. فقال له أشعب: فما لي إذا هي كلمتك؟

قال: عشرة آلاف درهم.

فأتى إليها فقال: يا ابنة عم رسول الله ﷺ، تفضلي بكلام الأمير؛ فقد استشفع بي عندك، وأجزل لي العطيّة إن أنت كلّمته.

قالت: لا سبيل إلى ذلك يا أشعب؛ وانتهرته.

فقال: جعلت فداك! كلّميه حتى أقبض عشرة آلاف درهم، ثم ارجعي إلى ما عودك الله من سوء الخلق.

فضحكت فقامت فصالحته.

❁ ❁ ❁

□ وكان عبد الملك بن مروان محبّاً لعاتكة بنت يزيد بن معاوية؛ فغاضبته يوماً، وسدت الباب الذي بينها وبينه؛ فساءه ذلك وتعاضله[1]، وشكا إلى من يأنس به من خاصته، فقال له عمر بن بلال الأسدي: إن أنا أرضيتها لك حتى ترضى فما الثواب؟

قال: حكمك.

فأتى إلى بابها، وقد مزق ثوبه وسوده؛ فاستأذن عليها وقال: أعلموها أن الأمر الذي جئت فيه عظيم.

---

(١) اشتد به وضيّق عليه، وأعضل الأمر اشتد واستغلق.

فأذنت له؛ فلما دخل رمى بنفسه وبكى. فقالت: ما لك يا عمّ؟

قال: لي ولدان هما من الإحسان إليّ في الغاية، وقد عدا أحدهما على أخيه فقتله، وفجعني به؛ فاحتسبته وقلت: يبقى لي ولد أتسلّى به؛ فأخذه أمير المؤمنين وقال: «لا بدَّ من القود[1]، وإلا فالناس يجترئون على القتل». وهو قاتله إلا أن يغيثني الله بكِ!

ففتحت الباب ودخلت على عبد الملك وأكبت على البساط تقبله وتقول: يا أمير المؤمنين؛ قد تعلم فضل عمر بن بلال، وقد عزمت على قتل ابنه؛ فشفِّعني فيه.

فقال عبد الملك: ما كنت بالذي أفعل.

فأخذت في التضرع والخضوع حتى وعدها العفو عنه وصلح ما بينهما؛ فوفى لعمر بما وعده به.

❁ ❁ ❁

❑ لما حج أبو جعفر المنصور قال للربيع: ابغني فتى من أهل المدينة أديباً ظريفاً عالماً بقديم ديارها ورسوم آثارها؛ فقد بعد عهدي بديار قومي، وأريد الوقوف عليها.

---

(١) والقود هو القصاص وقتل القاتل بدل القتيل.

فالتمس له الربيع فتى من أعلم الناس بالمدينة وأعرفهم بظريف الأخبار وشريف الأشعار؛ فعجب المنصور منه، وكان يسايره أحسن مسايرة، ويحاضره أزينَ محاضرة، ولا يبتدئه بخطاب إلا على وجه الجواب، فإذا سأله أتى بأوضح دلالة، وأفصح مقالة.

فأعجب به المنصور غاية الإعجاب، وقال للربيع: ادفع إليه عشرة آلاف درهم.

وكان الفتى مملقاً[١] مضطراً؛ فتشاغل الربيع عنه واضطرته الحاجة إلى الاقتضاء، فاجتاز مع المنصور بدار عاتكة؛ فقال: يا أمير المؤمنين؛ هذا بيت عاتكة بنت يزيد بن معاوية الذي يقول فيه الأحوص بن محمد:

يا بيتَ عاتِكةَ الذي أَتَعزّلُ
حذَرَ العِدَا وبه الفؤادُ مُوكَّلُ

فقال المنصور: ما هاج منه ما ليس هو طبعه: من أن يُخْبِرَ بما لم يُستَخْبَر عنه، ويجيب بما لم يُسأل عنه؟

ثم أقبل يردد أبيات القصيدة في نفسه إلى أن بلغ إلى آخرها وهو:

(١) أي فقيراً، والإملاق: الفقر.

وأراكَ تفعلُ ما تقولُ وبعضُهم
مَذِقُ[1] اللسانِ يقولُ ما لا يفعلُ

فدعا بالربيع وقال له: هل دفعت للمدني ما أمرنا له به؟

فقال: أخرته علة كذا يا أمير المؤمنين.

قال: أضعفها له وعجلها.

وهذا أحسن إفهام من الفتى، وأدقُّ فهمٍ من المنصور، ولم يُسمَع في التعريض بألطف منه.

❁ ❁ ❁

☐ قدم محمد بن مكرم من الجبل، فقال له أبو العيناء[2]: ما لك لم تُهْدِ إلينا شيئاً؟

فقال: واللَّهِ ما قدمت إلاَّ في خِفٍّ.

قال: كذبت، ولو قدمت في خفّ خَفَّتْ روحك.

---

(١) يقال: مَذَقَ الودّ: لم يخلصه. ورجل مَذِق ومذّاق: كذوب أو مَلول.

(٢) أديب فصيح من الظرفاء، ومن أسرع الناس جواباً. اشتهر بنوادره وكان حاد الذكاء، حسن الشعر، خبيث اللسان في سب الناس. توفي سنة ٢٨٣هـ.

وأكثر عليه أبو العيناء من المهاترة، فقال: إن زدت عليّ قمت.

قال: أراك تتهددنا بالعافية!

❁ ❁ ❁

❑ وولد لأبي العيناء مولودٌ فأتاه ابن مكرم مهنئاً، فوضع بين يدي أبي العيناء حجراً وانصرف.

فجسه أبو العيناء فوجده حجراً، فقال: من وضع هذا؟

فقالوا: تركه ابن مكرم لما قدم.

قال: لعنه الله؛ إنما عرّض بقول النبي ﷺ: **«الولد للفراش وللعاهر الحجر»**.

❁ ❁ ❁

❑ وأتى محمدَ بن مكرم شاعرٌ فقال: إني قد هجوتك بشعرٍ؟

فقال: قل، فوالله لئن أحسنت لأخلعن عليك خلعةً. فأنشده:

يا فتى مكرم تَنَحَّ عن الفَخْـ
ـرِ فما مكرمٌ وما دينارُ

لا تـفـاخِـرْ إذا فـخـرتَ بـهـذيـ
نِ فـذا كَـوْدَنٌ[1] وذاك حِـمَـارُ

فقال: أحسنت، ولكنّي أكسوك من ثيابنا. يا غلام، ارم عليه جلاً وبِرْذَعَةً.

❁ ❁ ❁

☐ وكان أبو الحسن أحمد بن المدبر[2] إذا مدحه شاعر فلم يحسن وكّلَ به من يمضي معه إلى الجامع فلا يفارقه حتى يصلي مئة ركعة؛ فتحاماه الشعراء، فأتاه الجمل[3] فأنشده:

أَردْنَـا فـي أبـي حـسـنٍ مـديـحـاً
كـمـا بـالـمـدح تُـنْـتَـجَـعُ الـوُلاةُ
فـقـلـنـا أكـرمُ الـثِـقَـلَـيْـنِ طُـرّاً
ومَـنْ كـفّـاهُ دِجـلـةُ والـفـراتُ

---

(١) الكودن والكودنيّ: الفرس الهجين، وقيل: هو البغل.
(٢) كذا في الأصل، والصحيح أن اسمه: إبراهيم بن المدبّر، وهو وزير من الكتّاب الشعراء. تولى ولايات جليلة واستوزره المعتمد العباسي. توفي سنة ٢٧٩هـ.
(٣) الجمل لقب له، واسمه: حسين بن عبد السلام. شاعر مصري له أماديح في عدد من الخلفاء والأمراء، وله باع في الهجاء. توفي سنة ٢٥٨هـ.

فـقـالـوا يَـقـبـلُ الـمِـدْحَـاتِ لـكِـنْ
جـوائـزُهُ إلـى الـنّـاس الـصَّـلاةُ
فـقـلـت لـهـم: ومـا تُـغـنـي صَـلاتـي
عـيـالـي! إنّـمـا الـشّـأنُ الـزّكـاةُ
فـأمّـا إذ أبَـى إلا صَـلاَتـي
وعـاقَـتْـنـي الـهـمـومُ الـشّـاغِـلاتُ
فَـيَـأْمُـرُ لـي بـكَـسْـرِ الـصّـادِ مـنـهـا
لـعـلّـي أَن تُـنـشِّـطـنـي الـصِّـلاتُ
فـيـصـلـحَ لـي عـلـى هـذي حـيـاتـي
ويـصـلـحَ لـي عـلـى هـذي الـمـمـاتُ

فأمر له بمئة دينار.

❁ ❁ ❁

❑ ودخل رجل على المتوكل فقال له: ما اسمك؟

قال: قطّان.

قال: وما صناعتك؟

قال: حمدان.

قال: لعل اسمك حمدان وصناعتك قطان؟

قال: نعم يا أمير المؤمنين، ولكني دهشت لهيبتك.

❁ ❁ ❁

❑ وقال رجل لآخر معه كلب: ما اسمك؟

قال: وثاب.

قال: وما اسم كلبك؟

قال: عروة.

قال: واخلافاه!

۞ ۞ ۞

❑ وممن وقع له هذا على الغلط فأحسن الاستدراك مطيع بن إياس الحارثي[١]، فإنه دخل على الهادي في حياة المهدي وهو ولي عهدٍ، فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين.

فقيل له: مَهْ!

فقال: بعد أمير المؤمنين.

۞ ۞ ۞

---

(١) شاعر من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية. كان ظريفاً مليح النادرة، مدح الوليد بن يزيد ونادمه في العصر الأموي، وانقطع في الدولة العباسية إلى جعفر بن المنصور فكان معه إلى أن مات.

❑ وأما أبو العبر[1] ومحمد بن حكيم الكنتجي فقد كانا يتعمدان المقلوب رقاعةً ومجانةً، وأبو العبر هو الذي كتب لبعض أصحابه: أما قبل، فأَحْكِمْ بُنيانَك على الرمل، واحبس الماء في الهواء، حتى يغرق الناس من العطش؛ فإنك إذا فعلت ذلك أمرت لك كل يوم بسبعة آلاف درهمٍ ينقص كل درهم سبعة دوانيق[2].

وكتب: يوم إلا تسعاً لخمس وأربعين ليلةً خلت من شهر ربيع الأوسط سنة عشرين إلا مئتين.

وله مثل هذا كثير من منظوم ومنثور. وهو القائل:

الخوخُ يَعشقُ وكْنَةَ الرُّمّانِ
والطيلسانُ قُرابةُ الخفّانِ
يا مَنْ رمى قلبي فَعَرْقَبَ أذنَهُ
فشممتُ منه حموضَةَ الكتّانِ

وكان نقش خاتم أبي العبر: «توفي جُحا يوم الأربعاء».

❁ ❁ ❁

(١) محمد بن أحمد بن عبد الله الهاشمي، نديم شاعر أديب، حافظ للأخبار، توفي سنة ٢٥٠هـ.

(٢) الدانق والدانقان تعريب داناك (فارسية) وهو سُدس الدرهم.

❏ ودخل إياس بن معاوية[1] الشام وهو صغيرٌ؛ فخاصم شيخاً إلى القاضي وأقبل يصول عليه، فقال القاضي: اسكت يا صبي.

فقال: فمن ينطق بحجتي؟

قال: إنه شيخ كبير.

قال: إن الحق أكبر منه.

قال القاضي: ما أراك تقول حقًّا.

فقال: لا إله إلا الله.

فركب القاضي من وقته إلى عبد الملك فأخبره فقال: عجِّلْ بقضاء حاجته وأخرجه من الشام لئلا يفسدها.

وبإياس يُضرب المثل في الذكاء. قال أبو تمام:

إِقدامُ عمرو في سَمَاحةِ حاتمٍ
في حِلْمِ أحنفَ في ذكاءِ إِياسِ

❁ ❁ ❁

---

(١) إياس بن معاوية بن قرة المزني: قاضي البصرة، وأحد أعاجيب الدهر في الفطنة والذكاء. يُضرب المثل بذكائه وزكنه (الزكن التفرّس في الشيء بالظن الصائب). كان صادق الحدس عجيب الفراسة، ملهماً، وجيهاً عند الخلفاء. توفي بواسط عام ١٢٢هـ.

❑ وسأل أبو عون[1] رجلاً عن مسألة فقال: على الخبير سقطت، سألتُ عنها أبي فقال: سألتُ أبي فقال: لا أدري.

❁ ❁ ❁

❑ قال أزهر[2]: استعدَتْ امرأة على زوجها عند ثُمامة بن عبد الله بن أنس بن مالك وهو قاضٍ، فادَّعت مهرها ألف درهمٍ، فقال: ألك بيِّنة؟

قالت: لا.

قال: أفأحلّفه لك؟

قالت: إنه فاجر يحلف؛ ولكن ابعث إلى إسحاق بن سويد الفقيه فَسَلْهُ أن يحلف لي عنه.

فأرسل إلى إسحاق بن سويد، فلما حضر قال له: احلف لهذه المرأة أن لها على زوجها ألف درهم.

قال إسحاق: ما أنا وهذا!

---

(١) عبد الملك بن يزيد، أبو عون، عزله المهدي عام ١٦٠هـ عن خراسان وكان عامله عليها.

(٢) أزهر السمّان، عالم بالحديث، كان يتردد على المنصور العباسي وله معه أخبار كثيرة. ولد بالبصرة عام ١١١هـ وتوفي بها عام ٢٠٣هـ.

قال: فيبطل حق هذه المرأة؟ لتحلفن لها أو لأحبسنك.

فلم يحلف فحبسه، فأتاه ابن سيرين فقال: لا ألومك على حبسك إسحاق، ولكن لِمَ وُليت القضاء؟

قال: أكرهني عليه السلطان.

قال: كنت تعلمه أنك لا تحسنه.

قال: كنت أنا أكذب؟

❁ ❁ ❁

❑ وكان نصر بن مقبل بن الوزير على الرقة عاملاً لهارون الرشيد. ولم يكن رآه، وكان نبيل القد، حسن المنظر، جليل القدر؛ فدعا به فوقف بين يديه، فقال: من أنت؟

قال: مولىً لبني الكلب يا أمير المؤمنين.

فضحك، ثم قال: كيف بصرك في الحكم؟

قال: البهائم ـ يا أمير المؤمنين ـ والناس عندي سواء، ولو وجب الحكم على بهيمة وكانت أمي أو أختي لحددتها، ولم تأخذني في الله لومة لائم.

فأمر هارون ألا يُستعمل، فلم يزل معطلاً حتى ولي المأمون.

❁ ❁ ❁

□ وأعطى بعض الأمراء لرجل سيفاً فسأله بدله، وقال: هو غيرُ ماضٍ.

قال: خذه، فالسيوف مأمورة.

قال: فهذا أُمر ألا يقطع.

❁ ❁ ❁

□ وانهزم رجل، فدخل على أميره فشتمه وقال: أعطيت بيدك وهربت، ولم توغِلْ ولا صبرت!

فقال: لئن تشتمني ـ أصلحك الله ـ وأنا حي خير من أن تترحم عليَّ وأنا ميت.

❁ ❁ ❁

□ وقيل لأعرابي؛ اخرج إلى الغزو.

فقال: أنا، والله، أكره الموت على فراشي، فكيف أمشي إليه ركضاً؟!

❁ ❁ ❁

❑ دخل أبو دلامة[1] على أبي جعفر المنصور فأنشده وذكر زوجته فقال:

فَاخْرَنْطَمَتْ[2] ثم قالت وهي مُغضَبَةٌ
أأنتَ تتلو كتابَ اللّهِ يا لُكَعُ[3]؟!
قُمْ كي تبيعَ لنا نخلاً ومُزدَرَعاً
كما لجارتنا نخلٌ ومُزدَرَعُ
خادِعْ خليفَتَنا عنها بمسألةٍ
إنّ الخليفةَ للسُؤّالِ يَنْخَدِعُ

قال: قد أمرنا لك بمئة جريبٍ[4] عامرٍ، ومئة جريب غامر.

فقال: وما الغامرُ يا أمير المؤمنين؟

قال: الذي لا ينبت.

قال: فإني أقطعك عشرة آلاف جريب من فيافي بني أسد.

---

(١) أبو دُلامة: شاعر من أهل الظرف والدعابة، كان أسود اللون وكان يُتَّهم بالزندقة لتهتّكه. نشأ بالكوفة واتصل بالخلفاء العباسيين فأغدقوا عليه الصِلات. توفي سنة ١٦١هـ.
(٢) اخْرَنْطَمَ الرجل: عوج خرطومه، أي أنفه، أو رفعه استكباراً وأنفة. والمُخْرَنْطِم: الغضبان المتكبر مع رفع رأسه.
(٣) اللُّكع: اللئيم، أو الأحمق.
(٤) الجريب من الأرض مقدار معلوم المساحة.

فضحك وأمر له بالجميع عامراً، فقال: ائذن لي في تقبيل يدك يا أمير المؤمنين.

فقال: أمَّا هذه فدعها.

فقال: ما منعت عيالي شيئاً أسهل عليهم من هذه.

❁ ❁ ❁

❑ ودخل أبو دلامة يوماً على أبي جعفر المنصور فأنشده:

إنــي رأيــتُــكَ فــي الــمــنــا ــمِ وأنــتَ تــعــطــيــنــي خــيــارَهْ
مــمــلــوءةً بــدراهــمٍ وعــلــيــكَ تــأويــلُ الــعــبــارَهْ

فقال له المنصور: امض فأتني بخيارة أملؤها لك دراهم.

فمضى فأتى بأعظم دباءة[1] توجد.

فقال: ما هذا؟

قال: يلزمني الطلاق إن كنت رأيت إلا دُبَّاءة، ولكني

(١) الدباء هو القرع، واحدته دُبّاءة، وكانت تستعمل عند العرب فتُملأ ماء وتُعلّق.

نسيت، فلما رأيت الدُبَّاءة في السوق ذكرتها.

❁ ❁ ❁

❑ ودخل أبو دلامة يوماً على المنصور وبين أصبعيه خرقة، فقال له: ما هذا يا أبا دلامة؟

فقال: ولدت لي البارحة صبيّة، وقد قلت فيها:

فما وَلَدَتْكِ مريمُ أُمُّ عيسى
ولم يكْفُلْكِ لقمانُ الحكيمُ

ولكنْ قد وُلدتِ لأمٍّ سَوْءٍ
يقومُ بأمرِهَا بَعْلٌ لئيمُ

فضحك المنصور وقال: ما تريد؟

قال: ملء هذه الخرقة أستعين بها على تربيتها.

فقال المنصور: املؤوها دراهم.

ففتحوها فإذا هي رداءٌ رقيق كبير، فملؤوه؛ فأخذ عشرة آلاف درهم.

وكان المنصور بخيلاً، وإنما كان أبو دلامة يستنزله بالملح لشدة بخله، فقد كان يتجاوز الغاية في ذلك.

❁ ❁ ❁

❑ وكان المنصور قبل أن يلي الخلافة ينزل على أزهر السمّان[1]، فلما استخلف صار إليه أزهر. فقال: ما أقدمك؟

قال: حاجةٌ يا أمير المؤمنين؛ عليّ أربعة آلاف درهمٍ، ولي دار متهدمة، وأريد البناء لابني محمد.

فأمر له باثني عشر ألف درهم، وقال: يا أزهر؛ لا تأتنا طالب حاجة.

قال: أفعل.

فلما كان بعد زمنٍ عاد فقال له المنصور: يا أزهر؛ ما جاء بك؟

قال: جئت مسلماً على أمير المؤمنين.

قال: إنه ليقع في نفسي أَنْ ما أتيتَ إلا لما أتيت له في المرة الأولى.

وأمر له باثني عشر ألف درهم وقال: لا تأتنا طالب حاجة ولا مسلِّماً.

قال: نعم!

---

(١) واسمه أزهر بن سعد، الباهلي بالولاء. عالم بالحديث، وُلِد بالبصرة سنة ١١١هـ وتوفي بها سنة ٢٠٣هـ.

ثم ما لبث أن عاد فقال: يا أزهر؛ ما جاء بك؟

قال: دعاء كنت سمعت أمير المؤمنين يدعو به فجئت مستملياً لآخذه عن أمير المؤمنين.

فقال: لا تكتبه فإنه غير مستجاب، لأني دعوت الله به أن يريحني منك فلم يستجب لي.

ثم صرفه ولم يعطه شيئاً.

❁ ❁ ❁

❑ قال المُؤَمِّل بن أُمَيل[1]: قدمت على المهدي وهو إذ ذاك ولي عهد أبيه، فامتدحته فأمر لي بعشرين ألف درهم، فكتب بذلك صاحب البريد إلى المنصور - وهو بمدينة السلام - يخبره أن الأمير أمر لشاعرٍ بعشرين ألف درهم، فكتب إليه يعذله ويلومه، ويقول: إنّما كان ينبغي لك أن تعطي الشاعر إذا أقام ببابك سنة أربعة آلاف درهم. وكتب إلى كاتبه أن يوجِّه إليه بالشاعر، فطلب فلم يقدر عليه، فكتب إليه أن قد توجّه إلى مدينة السلام.

---

(١) شاعر من أهل الكوفة، مخضرم في الدولتين الأموية والعباسية، اتصل بالمهدي قبل خلافته، ثم انقطع إليه بعد توليه الخلافة. عمي في أواخر أيامه، وكانت وفاته نحو سنة ١٩٠هـ.

فأجلس قائداً من قواده على جسر النّهروان، وأمره أن يتصفَّح الناس رجلاً رجلاً، فجعل لا يمر به قافلة إلا تصفحهم، فمرت القافلة التي فيها المؤمل، فقال له: من أنت؟

قال: المؤمل بن أميل من زوار المهدي.

قال: إياك أردت.

قال المؤمل: فكاد والله قلبي ينصدع خوفاً من أبي جعفر، فقبض عليّ، وقال: سر.

فسرت معه فسلمني إلى الربيع، فدخل الربيع على المنصور فقال له: هذا الشاعر قد ظفرنا به.

قال: أدخلوه.

قال: فدخلت عليه فسلّمت فردَّ السلام. فقلت: ليس هاهنا إلا الخير.

فقال: أنت المؤمل بن أميل؟

قلت: نعم، أصلح اللّهُ أمير المؤمنين، أنا المؤمل.

فقال: أتيت غلاماً غرًّا فخدعته فانخدع!!

فقلت: بل أتيت كريماً فخدعته فانخدع، والكريم يخدع.

قال: فكأنَّ ذلك أعجبه، فقال: أنشدني ما قلت فيه.
فأنشدته:

هو المهديُّ إلاّ أنَّ فيهِ
مَشَابِهَ صورةِ القمرِ المُنيرِ
تشابَهَ ذا وذا فهُما إذَا ما
أنارَا يُشْكِلانِ على البصيرِ
فهذا في الضّياءِ سراجُ عدلٍ
وهذا في الظلامِ سِراجُ نورِ
فيا ابنَ خليفةِ الله المُصَفَّى
بِهِ تَغلُو مُفاخَرَةُ الفَخُورِ
لقد سَبَقَ الملوكَ أبوك حتّى
أَتَوْا ما بينَ كَابٍ أو حَسيرِ
وجِئتَ وراءَهُ تجري حثيثاً
وما بك حين تجري من فُتورِ
فقال الناسُ ما هذانِ إلاّ
كما بينَ الخليقِ من الجديرِ
لئِنْ فاتَ الكبيرُ مدى الصغيرِ
فذا فضلُ الكبيرِ على الصغيرِ
وإنْ بلغ الصغيرُ مدَى الكبيرِ
فقد خُلقَ الصغيرُ من الكبيرِ

فقال: والله لقد أحسنت، ولكن لا تساوي عشرين ألف درهم، فأين المال؟

قلت: هوذا.

قال: يا ربيع، انزل معه فأعطه عشرة آلاف درهم وخذ الباقي.

فلما صارت الخلافة إلى المهدي وولي ابن ثوبان المظالم، وكان يجلس للناس بالرصافة، فإذا ملأ ثوبه رقاعاً دفعها إلى المهدي؛ فدفعت إليه رقعةً، فلما دخل بها ابن ثوبان وجعل المهدي ينظر في الرقاع حتى نظر في رقعتي ضحك، فقال له ابن ثوبان: أصلح الله أمير المؤمنين، ما رأيتك ضحكت من شيء إلاّ من هذه الرقعة؟

فقال: هذه رقعةٌ أعرف سببها، ردّوا عليه العشرة آلاف، فَرُدَّتْ.

❁ ❁ ❁

❑ ودخل أبو دلامة على المهدي وعنده عيسى بن موسى، والعباس بن محمد، وناس من بني هاشم، فقال المهدي: يا أبا دلامة.

قال: لبيك يا أمير المؤمنين.

قال: اهْجُ مَنْ شئت ممن ضمَّه هذا المجلس ولك الجائزة.

فنظر في القوم فلم ير إلا شريفاً قريباً من المهدي، فقال: أنا أحد من في المجلس، ثم أنشده:

ألا أَبْـــلِـــغْ إلـــيـــكَ أبـــا دُلامَـــهْ
فـلـيـسَ مـن الـكِـرامِ ولا كَـرامَـهْ
إذا لـبـسَ الـعـمـامـةَ قـلـت قِـردٌ
وخـــنـــزيـــرٌ إذا نـــزَعَ الـــعِـــمـــامَـــهْ
فـإنْ تَـكُ قـد أصـبـتَ نـعـيـمَ دُنـيـا
فـلا تـفـرَحْ فـقـد دَنَـتِ الـقـيـامَـهْ

قال: فضحك المهديُّ، وسُرّ القوم إذ لم يسوّد بأحدٍ منهم، فقال له المهدي: تمنَّ.

فقال: يا أمير المؤمنين، تأمر لي بكلب صيد.

فقال: وما تصنع به؟

فقال: إن كانت الحاجة لي فليس لك أن تعرض فيها.

فقال: صدقت؛ أعطوه كلباً.

فأُعطي، فقال: يا أمير المؤمنين، لا بدّ لهذا الكلب من كلاّب.

فأمر له بغلام مملوك، فقال: يا أمير المؤمنين، أَوَ يتهيّأ لي أن أصيد راجلاً؟

فقال: أعطوه دابةً.

فقال: ومن يسوس الدابة؟

فقال: أعطوه غلاماً سائساً.

فقال: ومن ينحر الصيد ويصلحه؟

فقال: أعطوه طبّاخاً.

فقال: ومن يأويهم؟

فقال: أعطوه داراً.

فقال: يا أمير المؤمنين؛ ائذن لي أن أقبّل يدك.

قال: أما هذه فدعها.

فقال: والله ما تمنع عيالي شيئاً أهون عليهم من هذا.

❁ ❁ ❁

❑ وماتت حمادة بنت علي بن عبد الله بن عباس، فصار المنصور إلى شفير قبرها ينتظر الجنازة، وكان

أبو دلامة حاضراً فقال له: ما أعددتَ لهذه الحفرة يا أبا دلامة؟

فقال: عمة أمير المؤمنين يُؤتَى بها الساعة.

❁ ❁ ❁

□ كان رجلٌ من التجّار له ولد يتقعّر[1] في كلامه ويستعمل الغريب؛ فجفاه أبوه استثقالاً له وتبرّماً به ومما كان يأتي به. فاعتلَّ أبوه عِلّةً شديدة أشرف منها على الموت، فقال: أشتهي أن أرى ولدي.

فأحضروهم بين يديه، وأُخّر هذا ثم أُخّر حتى لم يبقَ سواه، فقالوا له: ندعو لك بأخينا فلان؟

فقال: هو والله يقتلني بكلامه.

فقالوا: قد ضمن ألاّ يتكلم بشيء تكرهه.

فأذن لهم، فلما دخل قال: السلامُ عليك يا أبت، قل أشهد أَنْ لا إله إلا الله، وإن شئت قل أشهد أَنَّ لا إله إلا الله؛ فقد قال الفرّاء: كلاهما جائزٌ، والأولى أَحَبُّ إلى سيبويه. والله يا أبتِ ما شغلني عنك غير أبي علي، فإنه

---

(١) تقعّر في كلامه وتقعّر تشدّق وتكلم بأقصى قعر فمه. والتقعير في الكلام التشدّق فيه.

دعاني بالأمس، فأَهْرَسَ وأَغْدَسَ، وأرْزَزَ وأوْزَزَ، وسَكْبَجَ وسَبَّجَ، وزَرْبَجَ وطَبْهَجَ، وأَبْصَلَ وأَمْصَلَ، ودَجْدَجَ وافْلَوْذَجَ ولَوْزَجَ[1].

فصاح أبوه العليل: السلاحَ السلاحَ، صيحوا لي بجارنا الشّماس لأوصيه أن يدفنني مع النصارى وأستريح من كلام هذا البُنْدُق[2].

❁ ❁ ❁

□ وهاج بأبي علقمة النحوي دم فأتوه بحجّام؛ فقال له: اشدد قصب المحاجم، وأَرْهِفْ ظُبَات المشارط، وأسرع الوضع، وعجِّل النزع، وليكن شرطك وَخْزاً، ومصّك نَهْزاً، ولا تكرهنَّ أبيّاً، ولا تردَنّ أتيًّا.

فقال الحجام: ابعث خلف عمرو بن معديكرب، وأما أنا فلا طاقة لي بالحرب.

❁ ❁ ❁

□ وهاج به مرار فسقط فأقبل قوم يعضون إبهامه ويؤذنون في أذنه، فقام من غمرات غشيته، فقال: ما لكم

(١) أي صنع أو قدّم على المائدة الهريسة والعدس والأرز والإوز، إلخ، وكلها أنواع من الأطعمة والمرق والحلوى.
(٢) البندوق: النغل؛ أي ابن الزانية، والأنثى بندوقة، وهي عاميّة.

تَكَأْكَأْتُمْ[1] عليّ كتكأكُئِكُمْ على ذي جِنَّةٍ؛ افرَنْقِعوا[2] عني.

فقال بعضهم: اتركوه فإن جنيته تتكلم بالهندية.

۞ ۞ ۞

❑ وحصلت لأبي علقمة النحويّ علّة، فدخل عليه أعين الطبيب يعوده. فقال: ما تجد؟

قال: أكلت من لحوم هذه الجَوَازل[3]، فطَسِئْتُ طُسْأة[4]، فأصابني وجع ما بين الوابِلَةِ[5] إلى دَأْيَةِ[6] العنق، فما زال يزيد وينمى حتى خالط الخِلبَ[7] والشراسيف[8]، فما ترى؟

---

(١) تكأكأ القوم: ازدحموا، والتكأكؤ: التجمّع.

(٢) افرنقع عنه: انكشف عنه وتنحّى.

(٣) الجوزل: فرخ الحمام، وجمعه الجوازل.

(٤) طسأ وطسىء اتّخم فهو طاسىء وطسيء، والطُسأة التخمة والهيضة.

(٥) طرف رأس العضد أو الفخذ.

(٦) الدأي جمع دأية وهي فقار الكاهل في مجتمع ما بين الكتفين.

(٧) الخلب حجاب القلب، وقيل هي لحيمة رقيقة تصل بين الأضلاع.

(٨) الشرسوف غضروف معلق بكل ضلع، وقيل: الشراسيف أطراف أضلاع الصدر التي تشرف على البطن.

قال: خذ خربقاً وسلفقاً وشبرقاً فزهزقه وزقزقه واغسله بماء روثٍ واشربه.

فقال: ما تقول؟

فقال: وصفت لي من الداء ما لا أعرف، فوصفت لك من الدواء ما لا تعرف.

قال: ويحك فما أفهمتني.

قال: لعن الله أقلّنا إفهاماً لصاحبه.

❁ ❁ ❁

□ وقال رجل اسمه عمر لعلي بن سليمان الأخفش[1]: علّمني مسألةً من النحو؟

قال: تعلَّم أن اسمك لا ينصرف.

فأتاه يوماً وهو على شغل، فقال: من بالباب.

قال: عمر.

قال: عمر اليوم ينصرف.

قال: أَوَ ليس قد زعمت أنه لا ينصرف؟

---

(١) المسمى بالأخفش الأصغر. نحوي من أهل بغداد، أقام بمصر سنين، وتوفي ببغداد سنة ٣١٥هـ وهو ابن ثمانين سنة.

قال: ذاك إذا كان معرفة وهو الآن نكرة!

❁ ❁ ❁

□ قال أبو العبر: قال لي أبو العباس ثعلب[1]: الظبي معرفة أو نكرة؟

فقلت: إن كان مشويًا على المائدة فمعرفةٌ، وإن كان في الصحراء فهو نكرةٌ.

فقال: ما في الدنيا أعرف منك بالنحو.

❁ ❁ ❁

□ قال خالد بن صفوان[2] للفرزدق: يا أبا فراس، لو رأتك صُويحبات يوسف لما أكبرنك ولا قطّعنَ أيديهن؟

فقال: وأنت يا خالد، لو رأتك صاحبة موسى لما

---

(١) أبو العباس المعروف بثعلب: إمام الكوفيين في النحو واللغة، كان راوية للشعر، محدثاً، ثقة حجة. توفي سنة ٢٩١هـ.

(٢) من فصحاء العرب، ولد ونشأ بالبصرة، وكان أيسر أهلها، ولم يتزوج. كان يجالس عمر بن عبد العزيز وهشام بن عبد الملك، وعاش إلى أن أدرك السفاح العباسي وحظي عنده. توفي سنة ١٣٣هـ.

قالت: يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين.

❖ ❖ ❖

□ صحب الغاضريُّ رجلاً من قريش من مكة إلى المدينة فقال القرشي: يا غلام؛ أطعمنا دجاجةً.

فأتى بها باردة، فقال: ويحك، أسخِنْها.

ورُفع غداؤهم ولم يُؤتَ بالدجاجة، فلما كان العشاءُ قال: يا غلام، عشاءنا.

فلما أتاهم العشاء قال: هات تلك الدجاجة، فأتى بها باردة، فقال: أسخنها.

فقال الغاضري: أخبروني عن دجاجتكم هذه، أمن آل فرعون هي؟ فإني أراها تُعرض على النار غدوةً وعشيًا.

فقال: ويحك يا غاضريّ، اكتمها عليّ ولك مني مئة دينار.

فقال: والله ما كنت لأبيعها بشيء.

❖ ❖ ❖

❑ وقف أبو العيناء على باب صاعد بن مَخْلَد[1] فقيل له: إنه يصلّي.

فانصَرَف، ثم عاوده، فقيل له: إنه يصلي.

فقال: لكل جديدٍ لذة.

وكان صاعد نصرانياً ثم أسلم وارتقت به الحال أن توزّر للموفق بن أحمد بن المتوكل، وكان أخوه المعتمد الخليفة ولم يكن له مع الموفق أمرٌ ولا نهي، وقد قال المعتمد لما ملك عليه أخوه الأمر، أو قيل على لسانه:

أَلَيْسَ من العجائبِ أَنَّ مثلي
يرى ما قلَّ مُمتنعاً عليهِ
وتُؤخَذُ باسمِهِ الدنيا جميعاً
وما مِنْ ذاك شَيءٌ في يَدَيْهِ

وكان المعتمد مضعوفاً، وكان أمره قبل تمكن الموفق في يد وصيف حتى قال أحد الشعراء:

يا دولة بائرة كاسفة ما تُبتَغىٰ

---

(١) صاعد بن مَخْلَد: وزير، من أهل بغداد. كان نصرانياً وأسلم على يد الموفق العباسي. لقب بذي الوزارتين، وكان كثير الصدقات والصلوات ليلاً ونهاراً ومن المشهود لهم بالحزم والكفاية والنبل والكرم. توفي سنة ٢٧٦هـ.

خليفة مستضعف بين وصيف وبُغا[1]
يقول ما قالا له كما تقول البَبّغَا

❁ ❁ ❁

❑ وبلغ أبا العيناء أن المتوكل قال: لولا أن أبا العيناء ضرير لنادمناه.

فقال: إن أعفاني أمير المؤمنين من رؤية الأهِلّة وقراءة نقش الفصوص[2]، فأنا أصلح للمنادمة.

❁ ❁ ❁

❑ دعا رجلٌ قوماً، فلما كان مع المغرب أراد انصرافهم، وأرادوا المقام عنده، فاقتضوه في السراج. فقال لهم: أما سمعتم قول الله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَظۡلَمَ عَلَيۡهِمۡ قَامُواْ﴾؟

❁ ❁ ❁

---

(١) وصيف وبغا مملوكان تركيان كانا من أكابر الأمراء في بغداد أيام المتوكل وبعده بقليل. توفي بغا سنة **٢٤٨**هـ وقُتل وصيف سنة **٢٥٣**هـ.

(٢) الفص ما يركب في الخاتم من الحجارة الكريمة. وقد جرت عادة الخلفاء أن ينقشوا على الفصوص بعض الحكم والأمثال السائرة أو بعض ألقابهم وأسمائهم.

❑ وادعى رجل النبوة في أيام المأمون، فأحضره المأمون وقال له: ما دليل نبوتك؟

قال: أن أعلم ما انعقد عليه ضميرك.

فقال: ما هو؟

قال: في نفسك ـ أصلحك الله ـ أني كاذبٌ.

فضحك منه وتركه.

❁ ❁ ❁

❑ ادعى رجل النبوة في زمن المهدي وأُدخل عليه. فقال: أنت نبيّ؟

قال: نعم.

قال: إلى من بُعثت.

قال: أَوَ تركتموني أن أُبعث إلى أحد؟ بعثت بالغداة وحُبست بالعشي.

فقال: صدقت، أعجلناك! وضحك منه وأطلقه.

❁ ❁ ❁

❑ وأُتي المعتصم برجل ادَّعى النبوّة. فقال: ما آيتك؟

قال: آية موسى.

قال: فألقِ عصاك تكن ثعباناً مبيناً؟

قال: حتى تقول: أنا ربُّكم الأعلى.

❁ ❁ ❁

□ وادعى آخر النبوة بالكوفة، فأُدخل على واليها.
فقال: ما صناعتك؟

قال: حائك.

قال: نبيٌّ حائك؟!

قال: فأردتَ نبياً صيرفيًّا؟ اللَّهُ يعلم حيث يجعل رسالته.

❁ ❁ ❁

□ وسأل رجلٌ بعض الفقهاء عن القُبلة للصائم في رمضان؟ فقال: تكره للشاب ويرخص فيها للشيخ.

قال: إنها في معشوقة؟

قال: يا ابن أخي، هذا يُكرَه في شوال.

❁ ❁ ❁

□ قيل لمغفل: قد غلا الدقيق.
فقال: وما أُبالي؛ إني أشتري الخبز من السوق.

❁ ❁ ❁

❑ قال حيان بن غضبان العجلي (وقد ورث نصف دار أبيه): أريد أن أبيع نصف حصتي من الدار وأشتري الباقي، فتصير الدار كلها لي.

❁ ❁ ❁

❑ وشكا أهل بلدة إلى المأمون والياً عليهم؛ فقال: كذبتم عليه، قد صحَّ عندي عدله فيكم وإحسانه إليكم.

فقال شيخ منهم: يا أمير المؤمنين؛ فما هذه المحبة لنا دون سائر رعيتك، قد عدل فينا خمس سنين فانقله إلى غيرنا حتى يشمل عدله الجميع، وتريح معنا الكل.

فضحك منهم وصرفه عنهم.

❁ ❁ ❁

❑ قال رجل لبهلول المجنون[1]: قد أمر أميرُ المؤمنين لكل مجنون بدرهمين.

فقال له بهلول: فهل أخذتَ نصيبك؟

❁ ❁ ❁

(١) بهلول بن عمرو الصيرفي، أبو وهيب: من عقلاء المجانين. له أخبار ونوادر وشعر. ولد ونشأ في الكوفة، واستقدمه الرشيد وغيره من الخلفاء لسماع كلامه. كان في البدء من المتأدبين ثم وسوس فعرف بالمجنون. توفي سنة ١٩٠هـ.

❑ وأودع بهلول بعض الأفنية بالكوفة عشرين درهماً ورجلٌ خياط ينظر إليه من حيث لا يعلم به بهلول؛ فلما انصرف أخذ الخياط الدراهم، فعاد بهلول يطلبُها فلم يجدها، فعلم أنه لم يؤت إلا من الخياط.

فمر به فقال: يا فلان؛ خذ بيدك عشرة دراهم وخذ ثلاثين وخذ كذا... حتى بلغ المئة. قال: وزدها عشرين كم يكون المال؟

قال: مئةً وعشرين.

قال: أصبت، ومضى.

فقال الخياط في نفسه: ما أظنه إلا يمضي بهذه الدراهم التي حسبها ليزيدها على العشرين، فلأردنّها إلى موضعها، فإذا زاد عليها أخذت الجميع، ففعل.

فَكَرَّ بهلول إلى الموضع، فأخذ الدراهم وأحدث في موضعها ثم مضى؛ فقام الرجل مسرعاً، فلما أدخل يده امتلأت حدثاً، ولم يجد شيئاً؛ فعارضه بهلول، وقال: خذ في يدك كذا وكذا. كم في يدك؟

قال: مئة وعشرون.

قال: ما في يدك إلا حدث!

فانتشر خبر الخياط، وولع الصبيان فيه حتى هرب من الكوفة.

❁ ❁ ❁

□ ولبهلول هذا حِكَمٌ؛ وكان يتشيع فقيل له يوماً: أيّما أفضل أبو بكر أم علي رضي الله عنهما؟

فقال له: أما وأنا في كندة فعليٌّ، وأمّا وأنا في ضبّة فأبو بكر! (وكندة بالكوفة من غلاة الرافضة، وبنو ضبة أهل سنّة).

❁ ❁ ❁

□ ولما دخل الرشيد الكوفة خرج الناس للنظر إليه، فناداه بهلول ثلاثاً. فقال: من المجترىء عليّ في هذا الموضع؟

قيل: بهلول المجنون.

فرفع السَّجَافة[1] وقال: بهلول؟

قال: لبيّك يا أمير المؤمنين، روينا عن أيمن بن نائل قال: حدثنا قدامة عن ابن عبد الله العامري قال: رأيت

(١) السَّجَافة: الحجاب والستر، وقيل: تُسمَّى سجافة إن كانت مشقوقة الوسط كالمصراعين (ولعلها ما ندعوه اليوم بالستارة).

رسول الله ﷺ يرمي جمرة العقبة لا ضرب ولا طرد ولا قيل بين يديه إليك إليك؛ وتواضعُك في سفرك هذا خيرٌ لك من تجبرك وتكبرك.

فبكى الرشيد حتى جرت دموعه على الأرض، وقال: أحسنت يا بهلول، زدنا يرحمك الله.

فقال: وروي أن النبي ﷺ قال: أيّما رجل آتاه الله مالاً وجمالاً وسلطاناً فأنفق في ماله وعف في جماله وعدل في سلطانه كتب في خالص ديوان الله من الأبرار.

قال: أحسنت يا بهلول.

وأمر له بجائزة سنية، فقال: يا أمير المؤمنين؛ رُدَّها على من أخذتها منه؛ فلا حاجة لي بها.

فقال: يا بهلول؛ إن كان عليك دين قضيناه.

قال: يا أمير المؤمنين، هؤلاء أهلُ الرأي بالكوفة أجمعوا على أنّ قضاء الدين بالدين لا يجوز.

قال: فنجري عليك ما يكفيك.

فرفع رأسه إلى السماء وقال: يا أمير المؤمنين؛ أنا وأنت في عيال الله، ومحالٌ أن يذكرك وينساني.

فأرسل الرشيد السجف وسار.

وقيل: إن بهلولاً كان يستعمل الجنون ستراً على نفسه.

❁ ❁ ❁

❑ قال ابن أبي عتيق لامرأته: تمنيت أن يُهدى إلينا مسلوخ[1]، فنتخذ من الطعام لون كذا ولون كذا.

فسمعته جارة له، فظنت أنه أمر بعمل ما سمعته، فانتظرت إلى وقت الطعام، ثم جاءت فقرعت الباب، وقالت: شممت رائحة قدوركم فجئت لتطعموني منها.

فقال ابن أبي عتيق لامرأته: أنت طالق إن أقمنا في هذه الدار التي جيرانها يتشمّمون الأماني.

❁ ❁ ❁

❑ وفي كتاب للهند أن ناسكاً كان له سمن وعسل في جرّة؛ ففكّر يوماً فقال: أبيع هذه الجرة بعشرة دراهم فأشتري خمس أعنز، فأولدهنّ في كل سنة مرّتين، فيبلغ النتاج في سنتين مئتين، وأبتاع بكل أربعٍ بقرةً، وأزرع

---

(١) سلخ الخروف كشط جلده ونزعه، والمسلوخ ما كُشط سِلْخُه.

وينمى المال في يدي، فأتَّخذ المساكن والعبيد، ويولد لي ولد، فأسميه كذا وآخذه بالأدب، فإن هو عصاني ضربت بعصاي رأسه.

وكانت في يده عصا فرفعها كالضارب، فأصابت الجرّة، فانكسرت وتبدَّد السمن والعسل.

❁ ❁ ❁

❑ قال الجاحظ: حدّثني ثمامة بن أشرس قال: كان ممرورٌ[1] يأتي ساقية لنا سَحَراً، فلا يزال يمشي مع دابتها ذاهباً وراجعاً في شدَّة الحر والبرد، فإذا أمسى توضّأ وصلى وقال: اللهمّ اجعل لنا من هذا الهمّ فرجاً ومخرجاً، ثم انصرف إلى بيته.

فكان كذلك إلى أن مات.

❁ ❁ ❁

قال رجل للشَّعْبي: ما تقول في رجل أدخل أصبعه في أنفه فخرج عليه دمٌ، أترى له أن يحجم؟

فقال: الحمد لله الذي نقلنا من الفقه إلى الحجامة.

❁ ❁ ❁

---

(١) الممرور من غلبت عليه المرة وهاجت، وهو المجنون.

❑ وقال له رجل: ما تقول في رجل شتمني في أول يومٍ من شهر رمضان، أتراه يؤجر؟

قال: إن قال لك: «يا أحمق» رجوتُ له ذلك.

❁ ❁ ❁

❑ ودخل بعض الهاشميين على الرشيد معزّياً. فقال: يا أمير المؤمنين، أحسن اللَّهُ عزاك، وربك عزَّاك، وأحاله علينا وعليك بخير، ورحم فلاناً ولا عرفه قليلاً ولا كثيراً، تأمر بشيء يا أمير المؤمنين؟

قال: نعم! آمر أهلك أن يدفنوك؛ فإنّ موتك حياةٌ وحياتك موت.

❁ ❁ ❁

❑ وكان أحمد بن أبي طاهر قبيح الوجه، وكان له جاريةٌ من أحسن النساء، فضحك إليها يوماً فعبست في وجهه، فقال لها: أضحكُ في وجهك فتعبسين في وجهي؟

فقالت: نظرتَ أنت إلى ما سرَّك فضحكت ونظرِتُ إلى ما ساءني فعبست.



❑ وليس هذا كقول امرأة عمران بن حطّان (وكان قبيحاً وكانت جميلة): إني لأرجو أن نكون جميعاً في الجنة.

فقال: ولِمَ؟

قالت: لأنك أُعطيتَ مثلي فشكرت، وأُعطيت أنا مثلك فصبرت؛ فالصابر والشاكر في الجنة.

❁ ❁ ❁

❑ وجدت امرأةٌ أشعب ديناراً فأتته به، فقال: ادفعيه إليّ حتى يلد لك في كل أسبوع درهمين.

فدفعته إليه، فصار يدفع إليها في كل أسبوع درهمين؛ فلما كان في الأسبوع الرابع طلبته منه، فقال لها: مات في النفاس.

فقالت: ويلي عليك! كيف يموت الدينار؟

فقال لها: الويل لك على أهلك! كيف تصدقين بولادته وتنكرين موته في نِفاسه؟!

❁ ❁ ❁

❑ قال أبو العالية[1]: لما مات سعيد بن مسلم

---

(١) الحسن بن مالك، أدّب العباس بن المأمون، كان أديباً راوية من أصحاب الأصمعي.

الباهلي قال لي الرشيد: علّمْ فلاناً (لفتى من بني هاشم) تعزيةً يعزِّي بها ولد سعيد.

فقلت للفتى: إذا صرت للقوم فقل: عظَّم الله أجركم، وأحسن عزاءكم، ورحم سعيداً.

قال: هذا طويل.

فقلت: فقل: أعظم اللَّهُ أجركم، وختم بالصبر على قلوبكم.

قال: هذا أطول من ذاك.

قال: فقلت: أعظم الله أجركم، وكررته عليه يومين، فلما كان اليوم الثالث ركب وركبنا معه، فلما قرب من باب القوم خرجوا إليه حُفاةً إعظاماً له، فلما رآهم قال: ما فعل سعيد؟

قالوا: مات.

قال: جيد، وما أظن ذلك، فإيش عملتم به؟

قالوا: دفناه.

قال: أحسنتم. ثم انصرف.



❑ كان معاوية بن مروان، أخو عبد الملك بن مروان، مغفلاً؛ فبينا هو واقف بباب دمشق ينتظر عبد الملك على باب طحان إذ نظر إلى حمار يدور بالرحى وفي عنقه جلجل[1]. فقال للطحان: لِمَ جعلتَ في عنق الحمار جلجلاً؟

قال: لربما أدركتني سآمة أو نعسة، فإذا لم أسمع صوت الجلجل علمت بأنه قد قام فصِحْت به.

فقال له معاوية: أرأيت إن قام ومال برأسه هكذا وهكذا (وحرّك رأسه)، ما علمك أنه قائم؟

فقال الطحان: ومن لحماري بمثل عقل الأمير أعزّه الله تعالى!

❁ ❁ ❁

❑ وولّى الحجاج أعرابياً على تَبَالة[2] فجمع أهلها

---

(١) جرس صغير.

(٢) تبالة الحجاج: بلدة مشهورة من أرض تهامة في طريق اليمن، وفيها قيل: «أهونُ من تبالة على الحجاج»؛ وذلك أنها كانت أول عمل وليه الحجاج، فسار إليها، فلما قرب منها قال للدليل: أين تبالة وعلى أي سمت هي؟ فقال: ما يسترها عنك إلا هذه الأكمة: فقال: لا أراني أميراً على موضع تستره عني هذه الأكمة، أهون بها ولاية! وكر راجعاً ولم يدخلها، فقيل فيها هذا المثل.

وقال: إن الأمير أوصاني عليكم؛ ووالله لا أحسن أن أقضي بين خصمين مرتين، ووالله لا أوتى بظالم ولا مظلوم إلاّ وضربته حتى أقتله.

فتناصف الناس بينهم.

❁ ❁ ❁

❑ قال المدائني: كان لأبي الأسود الدؤلي دكّان إلى صدر الرجل يجلس فيه وحده، ويضع بين يديه مائدة ويدعو إليها كل من يمرُّ به، وليس لأحد أن يجلس؛ فينصرفون عنه.

وكان أبخلَ الناس، فمر به صبيٌّ من الأنصار؛ فقال له أبو الأسود: هلمّ إلى الغداء يا فتى.

فأتى إليه، فلم يَرَ موضعاً يجلس فيه، فتناول المائدة فوضعها في الأرض ثم قال: يا أبا الأسود، إن كان لك في الغداء حاجة فانزل.

وأقبل الفتى يأكل حتى أتى على جميع ما في المائدة، وسقطت آخرَ الطعام من يده لقمة على الأرض فأخذها وقال: لا أدعها للشيطان.

فقال أبو الأسود: والله ما تدعها للملائكة المقربين، فكيف تدعها للشياطين! ثم قال له: ما اسمك؟

قال: لقمان.

فقال أبو الأسود: أهلك كانوا أعلم زمانهم إذ سمَّوك بهذا الاسم.

ولم يعُدْ بعدُ إلى ما كان يصنع.

❁ ❁ ❁

□ واسم أبي الأسود ظالم بن عمرو من بني الدئل من كنانة، وكان قد أدرك حياة النبي ﷺ، وسافر إلى البصرة على عهد عمر رضي الله عنه، واستعمله علي بن أبي طالب رضي الله عنه على البصرة وكان شيعيًّا، وهو أول من وضع العربية.

وكان مجاوراً لبني قُشَير - وهم عثمانية - وكانوا يرجمونه، فإذا أصبح شكاهم؛ فيقولون: ما نحن رجمناك، الله تعالى رجمك. فيقول: كذبتم يا فعلاء، أنتم ترمون فتخطئون ولو كان الله رماني ما أخطأني.

ثم باع داره وانتقل عنهم. فقيل له: أَبِعْتَ دارك؟

فقال: بل بعت جاري.

❁ ❁ ❁

□ وقال عمر بن شبة: لما وقعت الفتنة أيام ابن الزبير بالبصرة مرّ أبو الأسود على مجلس بني قُشير، فقال: على ماذا أجمع أمركم في هذه الفتنة؟

قالوا: لِمَ تسألنا يا أبا الأسود؟

قال: لأخالفكم؛ فإنّ الله لم يجمعكم على حق.

۞ ۞ ۞

❑ سقط أبو الحارث جميز[1] من سطح؛ فقيل له: أكان السطح مرتفعاً؟

قال: لا تسأل عن شيء؛ استطبت برد الهواء قبل الوصول إلى الأرض.

وتشهّى قوم ضروباً من الطعام. فقالوا: ما تشتهي يا أبا الحارث؟ فقال: الوفاء بهذا.

۞ ۞ ۞

❑ ونظر أبو الحارث إلى برذون[2] يستقى عليه الماء فقال:

وما المرءُ إلا حيث يجعلُ نَفْسَهُ
ففي صالِحِ الأخلاقِ نَفْسَكَ فاجعلِ

---

(١) هو أبو الحارث جمين أو جميز، أحد أصحاب الفكاهة من معاصري الجاحظ.

(٢) البِرْذَوْن: الدابة، وهو هنا البغل أو الحمار.

لو أن هذا البرذون هملجَ[1] لما فعل به هذا.

❁ ❁ ❁

□ ونصب مع رفقاء له قدراً وجعل فيها لحماً. فلما تَلَهْوَجَت[2] نشل بعضهم قطعةً وقال: تحتاج إلى ملح.

ونشل آخر قطعة وقال: تحتاج إلى أَبْزار[3].

ونشل آخر قطعة وقال: تحتاج إلى بصل.

فرفع أبو الحارث القدر وقال: والله تحتاج هذه القِدر إلى لحم.

❁ ❁ ❁

□ وسرق مدني قميصاً فبعثه مع ابنه يبيعه، فسرق منه في الطريق، فلما رجع قال أبوه: بعت القميص.

قال: نعم.

---

(١) هملج البرذون: مشى مشية سهلة في سرعة؛ أي: حسن سيره، والهملاج الحسن السير في سرعة وبخترة.

(٢) لهوج الشواء لم ينعم شيّه، فهو شواء ملهوج، وتلهوج اللحم لم ينعم طبخه وشيّه.

(٣) التوابل التي يُطيَّب بها الطعام، واحدها: بِزْر.

قال: بكم؟

قال: برأس المال!

❁ ❁ ❁

□ وطبخ بعضُ البخلاء قدراً فقعد هو وامرأته يأكلان. فقال: ما أطيب هذا القدر لولا الزحام!

قالت: أيّ زحام هاهنا؟ إنما أنا وأنت!

قال: كنت أحب أن أكون أنا والقدر.

❁ ❁ ❁

□ نزل شيخٌ أعرابي من بني نهشل يكنى أبا الأغر على بنت أختٍ له من قريش بالبصرة، وذلك في شهر رمضان؛ فخرج الناسُ إلى ضياعهم؛ وخرج النساء يصلِّين في المسجد، ولم يبقَ في الدار إلا الإماء؛ فدخل كلب فرأى بيتاً[1] فدخله وانصفق الباب، فسمع الإماء الحركة فظنَنَّ لصاً دخل الدار؛ فذهبت إحداهن إلى أبي الأغرّ فأخبرته، فأخذ عصاً ووقف على باب البيت، فقال: إيها والله! إني بك لعارف، فهل أنت من لصوص بني مازن، وشربت نبيذاً حامضاً خبيثاً حتى إذا دارت الأقداحُ في

---

(١) أي غرفة.

رأسك مَنَّتْك نفسك الأماني، فقلت: أطرق دور بني عمرو، والرجال خلوف[1]، والنساء يصلّين في مسجدهنّ فأسرقهنّ، سَوْءَةً لك! والله ما يفعل هذا حرّ، بئسما منّتك نفسك! فاخرج بالعفو عنك، وإلاّ دخلت بالعقوبة عليك، وأيم الله لتخرجنّ أو لأهتفنّ هتفةً يلتقي فيها الحيّان عمرو وحنظلة، ويصير زيدٌ زيداً، وتجيء سعد بعدد الحصى وتسيل عليك الرجال من هاهنا وهاهنا؛ ولئن فعلت لتكوننّ أشأم مولود في بني تميم.

فلما رأى أنه لا يجيبه أخذه باللّين، فقال: اخرج بأبي أنت منصوراً مستوراً، إني والله ما أراك تعرفني، ولئن عرفتني لوثقت بقولي، واطمأننت إليّ، أنا أبو الأغر النهشلي، وأنا خال القوم وجلدة ما بين أعينهم، لا يعصون لي رأياً، وأنا خفير كفيلٌ أجعلك شحمة بين أذني وعاتقي، فاخرج فأنت في ذمتي، وإلاّ فعندي قوصرّتان[2] أهداهما إليّ ابن أختي البار الوصول، فخذ إحداهما فانتبذها حلالاً من الله ورسوله.

وكان الكلب إذا سمع هذا الكلام أطرق، وإذا سكت

(١) الخلوف: الحي إذا خرج الرجال وبقي النساء. والخوالف: النساء المتخلّفات في البيوت.

(٢) القَوْصرة والقوصرّة: وعاء من قصب يرفع فيه التمر من البواري.

وثب يريد الخروج، فتهافت أبو الأغر ثم قال: يا أَلأْمَ الناس! أراني بك الليلة في وادٍ وأنت في آخر، وأنت في داري أقلب البيضاء والصفراء، فتصيح وتطرق، وإذا سكتُّ عنك وثبتَ تريد الخروج، والله لتخرجنّ أو لألجنّ عليك.

فلما طال وقوفه جاءت جاريةٌ وقالت: أعرابي مجنون! والله ما أرى في البيت أحداً.

ودفعت الباب، فخرج الكلب مبادراً، ووقع أبو الأغر مستلقياً. فقلن له: قم ويحك؛ فإنه كلب!

فقال: الحمد لله الذي مسخه كلباً وكفى العرب حرباً.

❁ ❁ ❁

❑ أكل الحجاج مع رجل بيضاً، فأقبل يأكل المُحَّ ويرمي إليه بالبياض؛ فقال الرجل: أيها الأمير؛ عدّل العُجَّة.

❁ ❁ ❁

❑ قال أبو علقمة النحوي لجارية كان يهواها: يا خريدة؛ أخالُك عَرُوباً، فما بالنا نَمِقُكِ[1] وَتَشْنَئِينَنا[2]؟

---

(١) وَمِقَ ووَامَق: أحبّ، والوميق والمومُوق هو المحبوب.
(٢) شنأ الرجلَ: أبغضه مع عداوة، والشناءة: البغضة.

فقالت: ما رأيت أحداً يحب أحداً ويشتمه سواك.

(والخريدة: الناعمة اللينة، والعَروبة: المتحببة إلى زوجها).

❁ ❁ ❁

وأُتي الهيثم بن العريان بغريم قد مَطلَ غريمه ديناراً؛ فقال: ما تقول؟

قال: إنه ابتاعني عنجراً[1] واسْتَنْسَأْتُهُ[2] حولاً فصار لا يلقاني في لُقَمٍ[3] إلاَّ اقتضاني.

فقال الهيثم: أمن بني أمية أنت؟

قال: لا.

قال: فمن أكفائهم من بني هاشم؟

قال: لا.

قال: ويلي على ابن الفاعلة، فعلى من تتكلم بهذا الكلام؟ السياط!

---

(١) العنجر عجم الزبيب.

(٢) نسأه في البيع أي باعه وأخر له دفع الثمن، والنسأة والنسيئة هي التأخير والتأجيل، ويقال باعه بنسيئة أي بتأخير دفع الثمن. ومعنى: اسْتَنْسَأْتُه: أي طلبت تأجيل الدفع.

(٣) اللقم: الطريق.

فلما جرد قال: أصلحك الله؛ إنَّ إزاري مُرَغْبَلَة[1].

فقال: دعوه، فلو ترك التثاقل بالغريب في وقت لتركه الآن.

❁ ❁ ❁

❑ دخل أبو العيناء على ابن منارة الكاتب وعنده أبو عبد الله بن المرزبان. فقال لابن منارة: أحبُّ أن أعبث بأبي العيناء.

فقال له: لا تقومُ به.

فأبى إلاّ العبث به، فلما جلس أبو العيناء قال له: يا أبا عبد الله؛ لِمَ لبست جُبَّاعة؟

قال: وما الجُبَّاعة؟

قال: التي ما بين جُبَّة ودُرّاعة.

قال أبو العيناء: لأنك صفديم.

قال: وما صفديم؟

قال: الذي هو ما بين صفعان[2] ونديم.

❁ ❁ ❁

---

(١) مُرَغْبَلَة: خلقة قديمة؛ أي مهترئة.

(٢) الصفعان: الذي يُصْفَع كثيراً.

❑ لما جُعل عيسى بن موسى وليّ العهد بعد المهديّ (وكان ـ قبل ذلك ـ وليَّ عهد المنصور)، قال لمخنَّث قُدِّم إليه وقد جنى جناية: ما أراك تعرفني فكنت تفعل هذا الفعل؟

قال: بلى والله أيها الأمير، إني بك لعارفٌ؛ فأنت الذي كنت غداً فصرت بعد غدٍ.

❁ ❁ ❁

❑ مرض رجلٌ فجاء أبو العبر يعوده وقد ثقل، فصاحت امرأته؛ مَن لي بعدك يا سيّدي؟

فغمزها أبو العبرَ وأومأ إليها أَنْ أنا لك بعده.

فلما مات الرجل وانقضت عدَّتها تزوّجها أبو العبر، فأقامت عنده حيناً؛ ثم حضرت أبا العبر الوفاة، فجاء عُوَّادُهُ؛ فصاحت من لي بعدك يا سيدي؟

ففتح عينيه وقال: لا يغمزها إلاَّ من تكون أمة زانية.

❁ ❁ ❁

❑ وبينا ابن أبي ليلى[1] في مجلس القضاء إذ تقدَّم

---

(١) محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى الأنصاري الكوفي: قاض فقيه من أصحاب الرأي، ولد في الكوفة سنة ٧٤هـ وولي القضاء والحكم فيها لبني أمية ثم لبني العباس واستمر ٣٣هـ سنة، وله أخبار مع الإمام أبي حنيفة وغيره، توفي في الكوفة سنة ١٤٨هـ.

إليه امرأتان عجوزٌ وشابّة. فقالت الشابة: أنا ـ أصلح اللَّهُ القاضي ـ امرأةٌ مُبَدَّنَة، وقد بهرني النَّفَس؛ فإن رأى القاضي أن يأذَن لي فأحسرَ عن وجهي فليفعل.

فقالت العجوز: أصلح الله القاضي، إنها من أحسن الناس وجهاً، وإنما تريد أن تخدع القاضي، لا أمتعها الله بما وهبها من الجمال.

فقال لها ابن أبي ليلى: إذا أنت شَدَدْت قناعك فشأنك ووجهك.

فحسرت الفتاة عن وجه جميل. ثم قالت: أصلح اللَّهُ القاضي، إنّ هذه عمّتي وأنا أسمّيها أمي لكبر سنّها، وإن أبي مات وخلَّف مالاً، وخلَّفني في حجرها؛ فجعلت تمونني وتحسن التدبير في المال وتوفيره عليَّ، إلى أن بلغت مبلغ النساء. فخطبني ابن عم لي فزوجتني منه، فكان بي وبه من الحب ما لا يوقف على صفته. ثم إن ابنةً لعمتي أدركت، فجعلت هذه ترغّب زوجي فيها؛ فتاقت نفسه إليها فخطبها. فقالت: لست أزوّجكها حتى تجعل أمر بنت أخي في يدي. فقال لها: قد فعلت! فلم أشعر حتى أتاني رسولُها فقال: عمتك تقرئك السلام وتقول لك: إنَّ زوجك خطب ابنتي، وإني أبيت أن أزوِّجها منه حتى يجعل أمرك في يدي ففعل ذلك فأنت طالق، فحمدت الله تعالى على ما بليت به. ثم إن زوج عمتي هذه قدم من سفرٍ،

فسألني عن قصتي فأخبرته فقال: تزوّجينني نفسك؟ فقلت: نعم؛ على أن تجعل أمر عمتي في يدي. قال لي: فما تصنعين إذن؟ قلت: ذلك إليَّ؛ إما أن أعفو وإما أن أَقتصّ. قال: قد فعلت. فأرسلتُ إلى عمتي أنّ زوجك خطبني وأني أبيت عليه حتى يجعل أمرك في يدي، ففعل؛ فأنت طالق!

فضحك ابن أبي ليلى. فقالت العجوز: لا تضحك أيها القاضي؛ فالذي بقي أكثر وأعظم.

فقالت الشابة: ثم إن زوج عمتي مات فجعلت تخاصمني في ميراثه، فقلت لها: هو زوجي وأنا أحقُّ بميراثه، فأغرت ابن عمي ووكلته بخصومتي ففعل. فقلت: يا ابن العمّ؛ إن الحقَّ لا يُستحيى منه وقد صلحتُ لك إذ نكحت زوجاً غيرك، فهل لك في مراجعتي؟ فقال: كان ما كان ولا ذنب لي فيه، بل كنَّا على أشد رغبة وأعظم محبّة. ثم قال: أوَ تفعلين؟ قلت: على أن تجعل أمر بنت عمتي بيدي. قال: قد فعلت. فأرسلت إلى بنت عمتي أن زوجك خطبني وأني أبيت عليه حتى يجعل أمرك في يدي ففعل، فأنت طالق.

فقالت العجوز: أصلح اللّهُ القاضي؛ أيحلُّ هذا، أُطلَّق أنا وابنتي؟

فقال ابن أبي ليلى: نعم، التعس والنكس لك.

ثم ركب إلى المنصور فأخبره حتى ضحك وفحص برجليه، وقال: أبعدَ الله العجوز ولا فرّج عنها.

❁ ❁ ❁

❑ أتى رجل نخاساً فقال: اشترِ لي حماراً ليس بالصغير المحتقَر، ولا الكبير المشتَهَر، إن أشبعتُه شكر، وإن أجعتُهُ صبر، وإنْ خلا الطريق تدفَّق، وإن كثر الزحام ترفّق، لا يصدم بي السواري، ولا يدخل بي تحت البواري، إن ركبته هام، وإن ركبه غيري نام.

فقال له النخاس: أنظرني قليلاً، فإنْ مسخ الله ابن أبي ليلى القاضي حماراً اشتريتُه لك.

❁ ❁ ❁

❑ قال أبو سودة لابنه: يا بنيّ، تعلَّم خطبة النكاح، فإني أريد أن أُنكح أخاك.

قال: نعم.

فلما كان من الليل قال: أتعلمتَ شيئاً؟

قال: نعم.

قال: هاتِ.

قال: الحمد لله أحمده وأستعينه، وأؤمن به، وأتوكّل عليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمداً عبده ورسوله. حيّ على الصلاة حيّ على الفلاح.

فقال أبوه: يا بنيّ، لا تقم الصلاة حتى أذهب وأجيء، فإني على غير وضوء.

❁ ❁ ❁

□ قال يزيد بن أبي حبيب لرجل: من أين أقبلت؟

قال: من أسفل الأرض.

فقال له: كيف خلّفتَ قارون؟

❁ ❁ ❁

□ استفتى رجلٌ فقيهاً فقال: وضعت رأسي في حجر امرأتي فقالت: ما أثقل رأسك!

فقلت: أنتِ طالق إن كان رأسي أثقل من رأسك.

فقال: تطلق عليك.

فقيل له: ولِمَ؟

فقال: لأن القصّابين أجمعوا على أن رأس الكبش أثقل من رأس النعجة.

❁ ❁ ❁

❑ وكان المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام[1] أصيبت عينه عام غزوة مسلمة القسطنطينية، وكان يُطعم الطعام حيث نزل. فجاء أعرابيّ فجعل يديم النظر إلى المغيرة ولا يأكل.

فقال له: ما لك يا أعرابي؟

فقال: إنه ليعجبني كثرة طعامك، وتُريبني عينك.

قال: وما يريبك منها؟

فقال: أراك أعور تطعم الطعام، وهذه صفة الدجّال.

فضحك المغيرة وقال: كل يا أعرابي؛ فإنّ الدجّال لا تصاب عينه في سبيل الله.

❁ ❁ ❁

---

(١) ابن المغيرة المخزومي: من الأجواد الشجعان. كان في جيش مسلمة بن عبد الملك في غزواته ببلاد الروم وأصيبت عينه فعرف بالأعور. توفي بالمدينة سنة ١٠٥هـ.

❑ ومن المعاريض قول ابن شبرمة[1]؛ وقد سُئل عن رجل، فقال: إن له شرفاً وقدماً وبيتاً.

فنظروا فإذا هو ساقط. فقيل له في ذلك، فقال: ما كذبت: شرفه أذناه[2]، وقدمه التي يمشي عليها، ولا بدّ أن يكون له بيت يأوي إليه.

وسُئل آخر عن رجل؛ فقال: رزين المجلس، نافذ الطعنة.

فحسبوه سيّداً، فإذا هو خيّاط طويل الجلوس نافذ الإبرة.

❁ ❁ ❁

❑ طلب العتبي بعد ثمانين سنة أن يتزوّج، فقيل له في ذلك، فقال: أولاد الزّمان فسدوا؛ فأردت أن أذلهم باليتم قبل أن يذلّوني بالعقوق.

❁ ❁ ❁

❑ ابتاع أعرابيٌّ غلاماً؛ فقالوا له: إنّا نبرأُ إليك من عيب فيه.

---

(١) هو عبد الله بن شبرمة بن حسان الضبيّ، قاض ولاه أبو جعفر المنصور قضاء الكوفة. توفي سنة ١٤٤هـ.

(٢) إشارة إلى طول أذنيه، والشرفاء الطويلة من الآذان.

قال: ما هو؟

قالوا: يبول في الفراش.

قال: إن وجد فراشاً فليفعل.

❁ ❁ ❁

❑ ذهبتْ ثيابُ رجلٍ في الحمّام، فجعل يقول: «أنا أعلم، أنا أعلم»، واللصُّ يسمعه؛ ففزع وظنّ أنه قد فطن به؛ فردَّها وقال له: إنّي سمعتك تقول: «أنا أعلم»، فما الذي تعلم؟

قال: أعلم أنه إن عدمت ثيابي متّ من البرد.

❁ ❁ ❁

❑ زار رجل الخصيب بن عبد الحميد وهو أمير على مصر مستمنحاً، فلم يُعطِهِ شيئاً، فانصرف.

فأخذه أبو الندى اللصّ (وكان يقطع الطريق) فقال: هات ما أعطاك الخصيب.

قال: لم يعطني شيئاً.

فضربه مئتَيْ مقرعة يقرّره على ما ظنَّ أنه ستره عنه.

ثم قدم على الخصيب بعد ذلك زائراً فلم يعطه شيئاً: فقال: جُعلت فداك؛ تكتب إلى أبي الندى أنّك لم تعطني شيئاً لئلا يضربني!

فضحك ووصله.

❁ ❁ ❁

❑ تقدَّم الوزير علي بن عيسى[1] إلى ابن أبي عبد الله بن الجصّاص[2] في البكور، فأتاه نصف النهار. فقال: ما أخَّرك يا أبا عبد الله؟

قال: بمحلَّتي ـ أعزّ الله الأمير ـ كلابٌ تنبح الليل أجمع، فأَسْهرتني البارحة، فلما كان مع وجه السّحر سكن نباحها، فنمت فغلبتني عيني إلى الآن.

فقال له: وما لك يا أبا عبد الله لا تتقدم في قتلها؟

---

(١) علي بن عيسى بن داود بن الجراح، وزير المقتدر العباسي والقاهر وأحد العلماء الرؤساء من أهل بغداد. توفي سنة ٣٣٤هـ.

(٢) ابن الجصّاص تاجر كبير مشهور بالسّعة وكثرة المال، وله أخبار كثيرة تدل على الغفلة. عاش أيام المقتدر العباسي، وفي حقيقة شخصيته وأنه كان يتباله أو كان ـ حقاً ـ أبله حديث طويل أورده التنوخي في «نشوار المحاضرة».

قال: ومن يستطيعها أيها الوزير؟ وكل واحد منها مثلي ومثل أبيك رحمه الله.

❁ ❁ ❁

□ وخرجت يده من الفراش في ليلة باردة، فأعادها إلى جسده بثقل النوم فأيقظته، فقبض عليها بيده الأخرى وصاح: اللصوص! اللصوص! هذا اللص جاء ينازعني وقد قبضت عليه، أدركوني لئلا يكون في يده حديدة يضربني بها.

فجاؤوا بالسراج فوجدوه قد قبض بيده على يده.

❁ ❁ ❁

□ ودخل على ابن له وقد احتضر، فبكى عند رأسه وقال: كفاك الله يا بني الليلة مؤنة هاروت وماروت.

قالوا: وما هاروت وماروت؟

قال: لعن الله النسيان، إنما أردت يأجوج ومأجوج.

قالوا: وما يأجوج ومأجوج؟

قال: فطالوت وجالوت.

قالوا: فلعلّك أردت منكراً ونكيراً.

قال: والله ما أردت إلاّ غيرهما!! (يريد ما أردت غيرهما).

❁ ❁ ❁

□ وقال كاتبه أبو الحسين: دخلت على ابن الجصاص يوماً فوجدته يبكي بكاءً شديداً ويقول: واانقصام ظهراه، واهلاكاه!

فقلت: ما للشريف لا أبكى الله عينه؟

فقال: ماتت الكبيرة (يريد أمه، وكان باراً بها).

فقلت: ماتت؟

قال: نعم.

فشققت جيبي وأظهرت من الجزع ما يجب لمثلي. ثم إني أنكرت الحال إذ لم أجد لذلك دليلاً، لا أحد يعزِّيه، ولا في الدار حركة؛ فبقيت حائراً حتى أتت الخادمة فقالت: الكبيرة تُقرئك السلام، وتقول لك: إيش تأكلُ اليوم؟

قال: قولي لها: ومتى أكلت قطّ بغير شهوتك؟

فقلت: يا سيدي، والكبيرة في الحياة؟

فقال: وإيش تظن أنها ماتت من حقّ؟ إنما رأيت البارحة في المنام كأنها راكبةٌ على حمار مصري تسقيه من النيل، فذكرت قول الشاعر:

إذا ذهـب الـحـمـار بـأمّ عـمـرو
فـلا رجَـعَـتْ ولا رَجَـعَ الـحـمـارُ

❁ ❁ ❁

□ وقال أبو الحسين كاتبه: وأتيتُ إليه يوماً وقد ماتت والدتي فعرَّفته، فبكى وقال: ماتت كبيرتي ومربِّيتي (وهو كان أكبر منها بأربعين سنة)، ثم قال لغلامه: يا بشرى، قُم فجئني بعشرين ديناراً.

فأتاه بها، فقال: خُذْها فاشتر بعشرة دنانير كفناً وتصدَّق بخمسة دنانير على القبر، وأقبل يصرف الخمسة الباقية فيما يحتاج إليه من تجهيزها.

ثم قال لغلام آخر: امض أنت يا لؤلؤ إلى فلان صاحبنا يغسلها.

فاستحييت منه وقلت: يا سيدي، ابعث خلف فلانة جارة لنا تغسلها.

قال: يا أبا الحسين، ما تدع عقلك في فرح ولا حزن، كأنّ حرمك ما هي حرمي! كيف يدخُل عليها من لا نعرفه؟

قلت: نعم، تأذن لي بذلك.

قال: لا والله ما يغسلها إلاّ فلان!

فقلت: وكيف يغسل رجلٌ امرأة؟

قال: وإنما أمك امرأة، والله لقد أُنسيت!

❁ ❁ ❁

❑ كان بمصر شريفٌ من ولد أبي العباس يعرف بأبي جعفر الشق، شبيه بابن الجصَّاص في الغفلة والجَدّ[1] والنعمة. قال أبو القاسم بن محمد التنوخي[2]: بعثني أبي إليه من قريةٍ تعرف بتلا يستقرضه عشرة أرادب[3] قمحاً وثلاثين زوج بقر، وكتب معي بذلك رقعة.

فأتيت إليه وسلَّمت عليه ودفعت إليه الرقعة، فقال: ذكرت أباك بخير وحرسه وأسعده، فهو صاحبي وصديقي وخليطي، وأين هو الآن؟

قلت: بقرية تلا أعزَّ الله سيدي الشريف.

قال: نعم! حفظه الله هو بالفسطاط معنا؛ وقد انقطع

---

(١) الجَد: الحظ.

(٢) علي بن محمد التنوخي: قاض أديب شاعر عالم بأصول المعتزلة. ولد بأنطاكية ورحل إلى بغداد في حداثته، فتفقه على مذهب أبي حنيفة، وكان معتزلياً. ولي قضاء البصرة والأهواز. وأقام زمناً في بغداد، وتوفي بالبصرة سنة ٣٤٢هـ.

(٣) واحدها إردب، وهو مكيال ضخم سعته ٢٤ صاعاً.

عنا كذا، ما كنت أظنه إلا غائباً.

قلت: لا يا سيدي هو بتلا.

قال: فما لك ما قلت لي؟ فما كان سبيله أن يؤنسني برقعة من قبله.

قلت: يا سيدي، قد دفعت إليك رقعته.

قال: وأين هي؟

قلت: تحت البساط.

فأخذها وقرأها وقال: قل لي الآن؛ كان لك أخٌ أعرفه حارّ الرأس حادّ الذهن، يحسن النحو والعروض والشعر، فما فعل الله به؟

قلت: أنا هو أعزَّك الله.

قال: كبرت كذا، وعهدي بك تأتيني معه وأنت بزقة مخطة لعقة قردلاش.

قلت: نعم، أيَّد الله الشريف.

قال: وما الذي جئت فيه؟

قلت له: والدي بعثني إليك برقعة يسألك فيها قرض عشرة أرادب قمحاً وثلاثين زوج بقر.

قال: وهو الآن بالفسطاط؟

قلت: لا يا سيدي، هو بتلا.

قال: نعم! وإنما ذاك الفتى أخوك؟

قلت: لا، أنا هو.

فهو يراجعني الكلام، وقد ضجرت من شدَّة غفلته وكثرة نسيانه لما أقول له، حتى أقبل كاتبه أبو الحسين، فقال: سَلْ هذا الفتى ما أراد.

فسألني فعرَّفته فأخبره فقال له: نفِّذ له حاجته.

فوقّع لي الكاتب بما أراد، وقال: تلقاني للقبض بالديوان.

فشكرت الشريف ونهضت، فقال: اصبر يا بني فقد حضر طعامُنا.

وقُدِّم الطعام وفيه حصرميّة غير محكمة، فرفع يده وقال: مثل مطبخي يكون فيه مثل هذه! عليّ بالطّباخ، فأُتي، فقال له: ما هذا العمل؟

فقال: يا سيّدي؛ إنما أنا صانع وعلى قدر ما أُعطى أعمل، وقد سألت المُنفق يشتري لي ما أحتاج إليه فتأخّر عنّي فعملت على غير تمكّن؛ فجاء التقصير كما ترى.

فقال: عليّ بالمنفق، فأُحضر. فقال: مالي قليل؟

قال: لا يا سيدي، بل عندك نعمٌ واسعة.

قال: فما لك تضايقُنا في النفقة ولا توسّع كما وسَّع الله علينا؟

قال: يا سيدي، إنما أنفق ما أُعطى، وقد سألت الجهبذ أن يدفع لي فتأخَّر عني.

فقال: عليّ بالجهبذ، فأُتي به، فقال: ما لك لم تدفع للمنفق شيئاً؟

قال: لم يوقّع لي الكاتب.

فقال للكاتب: لم لم تدفع إليه شيئاً؟

فتلعثم في الكلام ولم يكن عنده جواب.

فقال للكاتب: قف هاهنا. فوقف، ووقف خلفه الجهبذ، ووقف خلف الجهبذ المنفق، وخلف المنفق الطباخ. وقال: نُفيتُ من العباس إن لم يصفع كل واحد منكم من يليه بأكثر ما يقدر عليه.

فتصافعوا. قال: فخرجت وأنا متعجب من غباوته ودقته في هذا الحكم.

❁ ❁ ❁

❑ قيل لقينة: صوم يوم عرفة كفَّارة ذنوب سنة.

فصامت إلى الظهر وأفطرت. فقيل لها: ما هذا؟

قالت: يكفيني ستة أشهر.

❁ ❁ ❁

❑ قعد رجل على باب داره، فأتاه سائل يسأله. فقال له: اجلس، ثم صاح بجاريةٍ عنده فقال: ادفعي إلى هذا مَكُّوكاً من حنطة.

قالت: ما بقي عندنا حنطة.

قال: فأعطيه درهماً.

قالت: ما بقي عندنا دراهم.

قال: فأطعميه رغيفاً.

قالت: وما عندنا رغيف.

فالتفت إليه وقال: انصرف يا ابن الفاعلة.

فقال السائل: سبحان الله، تحرمني وتشتمني!

قال: أحببتُ أن تنصرف وأنت مأجور.



❑ ورأى أعرابيٌّ الناس بمكة وكل واحد يتصدّق ويعتق ما أمكنه. فقال: يا رب، أنت تعلم أنه لا مال لي، وأشهدك أن امرأتي طالق لوجهك يا أرحم الراحمين!

❁ ❁ ❁

❑ وكان في زمن المهدي رجل ادعى النبوة فأحضروه إلى المهدي، فقال له: ما أنت؟

قال: نبيّ.

قال: إلى من بعثت؟

فقال له: ما أكثر فضولك! إيش عليك؟

قال: قل، وإلا أمرت بقتلك.

قال: بعثت إلى أهل خراسان.

قال: ولم لم تسافر إليهم؟

قال: ما معي نفقة.

فضحك منه وأمر له بنفقة، وقال: هذا قد غلبت عليه المِرة.



❑ ومن أخبار الوزير محمد بن عبد الملك الزيات أن المعتصم أمره أن يعطي الواثق عشرة آلاف درهم، يستعين بها على أمره ويصلح بها ما يحتاج إلى إصلاحه، فدافعه ابن الزيّات بذلك مدافعةً متصلة أحوَجَتْه إلى شكايته إلى المعتصم. فأنكر عليه تأخّر المال، فقال: يا أمير المؤمنين، العدل أولى بك وأشبه بقولك وفعلك، ولك عدة أولاد أنت في أمرهم بين خلتين؛ إمّا أن تسوي بينهم في العطيَّة فتُجحِف ببيت المال، وإما أن تخص بعضهم فتَحيف[1] على الباقين.

فقال: قد رهنتُ لساني، فما تصنع؟

قال: تأمر لباقي ولدك بإقطاعات وصلات، وتطلق لهارون صدراً من المال، فأدافعه بباقيه ويتَّسع الأمير قليلاً، وتدبّر الأمر بعد ذلك بما تراه.

فقال له: وفقك الله، فما زلت أعرف الصواب في مشورتك.

وتأدّى الخبر إلى هارون، فحلف بعتق عبيده ومماليكه، وبحبس عدة خيل ووَقْفِ عدة ضياع، وصدقة

(١) حاف عليه: جار عليه وظلمه، والحائف: الظالم الجائر.

مالٍ جليلٍ، لئن ظفر بمحمد ليقتلنَّه؛ وكتب اليمين بخطِّه وجعلها في دَرْجٍ[1] وأودعها دايتَهُ.

ومرَّت مدة وأفضى الأمر إلى هارون[2]، وكان ذا أَنَاةٍ وعقلٍ، وكره أن يعاجله فيقول الناس: بادر بشفاء غيظه؛ ثم عزم على الإيقاع به، فتقدّم بأن يجمع له من وجوه الكتاب من يصلح لولاية الدواوين والوزارة فجُمعوا، ودعا بواحدٍ منهم وقال له: اكتب كذا (في أمرٍ رسمه له). فاعتزل وكتب وعرض الكتاب عليه فلم يرضه حتى امتحن الجميع، فأمر حاجبه فقال: أدخل من الملك مضطر إليه: محمد بن عبد الملك.

فجيء به وهو واجمٌ مضطرب؛ فلما وقف قال له: اكتب إلى صاحب خراسان في كذا وكذا.

فأخرج من كمّه نصفاً ومن خُفّه دواةً، وابتدأ يكتب بين يديه حتى فرغ من الكتاب، ثم أخرج خريطةً فيها حصى فأترب الكتاب وأصلحه وتقدَّم فناوله إيّاه، فوجده قد أتى على جميع ما في نفسه؛ فأُعجب به جدًّا. وقال: اختمه، فأخرج من الخريطة طيناً فوضعه عليه وتناوله فختمه وأنفذه من ساعته.

---

(١) الدرج ما يُكتب فيه. يقال: أنفذته في درج الكتاب أي في طيّه. والمدرج: الكتاب الملفوف والرقعة الملفوفة.

(٢) أي صار الخليفة بعد أبيه المعتصم.

فقال هارون لخادم له: امضِ إلى دايتي وقل لها توجِّه إليَّ بالدرج الفلاني.

فمضى الخادم فجاء به، فأخرج الرقعة فدفعها إليه.
فقال: يا أمير المؤمنين؛ أنا عبدٌ من عبيدك، إن وفيت بيمينك فأنت محكَّم، وإن كفَّرتَ وصَفَحْتَ كان أشبه بك.

قال: لا والله! ما يمنعني من الوفاء بيميني إلاَّ النَّفاسة على أن يخلو الملك من مثلك.

وأمَرَ بعتق من حلف بعتقه، ووقف الضياع، وحبس الخيل، وأنفذ صدقة المال.

❁ ❁ ❁

❑ قال مزيد لامرأته: أنت غير شفيقةٍ عليّ، ولا راعية لي.

فقالت: والله لأنا أرعى بك من التي كانت قبلي وأشفق.

قال: أنت طالق ثلاثاً! لقد كنت آتيها بالجرادة فتطبخ لي منها أربعة ألوان وتشوي جنينها.

فدعته إلى القاضي، فجعل القاضي يطلب له المخرج

فقال: أصلحك الله! لا عليك إن أشكلت المسألة فهي طالق ثلاثين.

❁ ❁ ❁

□ وكان أبو حبيب، مضحك المهدي، يحفظ نوادر مزيد ويحكيها له فيصله. فقال له مزيد: بأبي أنت! أنا أزرع وأنت تحصد.

❁ ❁ ❁

□ ولقي مزيد رجلاً كان صديقاً لأبيه. فقال: يا بني، كان أبوك عظيم اللحية، فما بالك أجرودي؟

فقال مزيد: أنا خرجت لأمي.

❁ ❁ ❁

وقال بعض البخلاء لغلامه: هات الطعام وأغلق الباب.

فقال: يا مولاي؛ هذا خطأ، إنما يقال: أغلق الباب وهات الطعام.

فقال له: أنت حرٌّ لوجه الله لمعرفتك بالحزم.

❁ ❁ ❁

☐ قال جهم بن خلف: أتينا اليمامة فنزلنا على مروان بن أبي حفصة فأطعمنا تمراً. ثم قال لغلامه: خذ هذا الفَلْسَ فاشترِ به زيتاً.

فأتى الغلام به، فقال له: خُنتَني.

فقال: وكيف أخونك في فَلْسٍ؟

قال: أخذتَه لنفسك واستوهَبْتَ الزيت.

❁ ❁ ❁

☐ وقال الأحنف بن قيس: يا بني تميم، أتبخّلونني وربما أشرت عليكم برأيٍ خير من مئة ألف درهم؟

فقال بعض من سمعه: تقويمك الرأي عليهم غاية البخل.

❁ ❁ ❁

☐ مر رجل بإنسان وعلى عاتقه عصا في طرفيها زنبيلان[1] قد كادا يحطمانه، في أحدهما بُرٌّ وفي الآخر تراب. فقال: لم فعلت هذا؟

---

(١) الزُّنبيل والزِّنبيل هو الجراب أو القفّة. وهي لفظة فارسية معرّبة.

قال: عدلت البُرَّ بالتراب، لأنه كان قد أمالني إلى أحد جنبيّ.

فأخذ الرجل زنبيل التراب وقلبه وقسم البر نصفاً في الزنبيلين وقال: الآن فاحمل.

فحمله فخف عليه؛ فقال: ما أعقلك من شيخ!

❁ ❁ ❁

❑ وقال رجل لامرأته: الحمد لله الذي رزقنا ولداً طيباً.

قالت: ما رزق أحدٌ مثلما رُزقنا!

فدعياه فجاء، فقال له الأب: يا بني، من حفر البحر؟

قال: موسى بن عمران.

قال: من بلّطه؟

قال: محمد بن الحجاج.

فشقَّت المرأة جيبها ونشرت شعرها وأقبلت تبكي.

فقال أبوه: ما لكِ؟

فقالت: ما يعيش ابني مع هذا الذكاء.

❁ ❁ ❁

❑ ومما يشكل هل هو مدح أو هجاء، أن أبا الينبغي[1] دفع إلى خياط أعور اسمه زيد طيلساناً يقوّره له، فلما جاءه ليأخذه دفعه إليه، وقال له: قد خِطْتُ لك شيئاً لا تدري أهو طيلسان أو هو دُوَّاج[2].

فقال: وأنا أقول فيك بيتاً لا تدري أهو مدحٌ أو هجاء. وأنشده:

خاط لي زيدٌ قَبَاءْ ليتَ عَيْنَيه سَوَاءْ

❁ ❁ ❁

قال أبو عبيدة: أُجريت الخيل في الحَلْبة؛ فجاء فرس من الخيل سابقاً، فجعل رجل من النظَّارة يكثر الفرح ويكبر ويصفق. فقال له رجل إلى جانبه: يا فتى؛ الفرس لك؟

قال: لا، ولكنّ اللجام لي!

❁ ❁ ❁

---

(١) هو العبّاس بن طرخان، شاعر هجاء، جيد البديهة، خبيث اللسان. هجا الفضل بن مروان فحبسه بعد أن أغرى به الواثق وأنهى إليه أنه هجاه، فبقي في السجن حتى مات.

(٢) معرب دواج (فارسية) ويقال له الدواج والدوّاج؛ وهو اللحاف الذي يُلبَس.

❑ دخل طفيليٌّ عرساً فلم يقدر على الدخول، فأخذ قرطاساً وأَدْرَجَه[1] ولم يكتب فيه شيئاً، وسأل عن العروس، هل له قرابة غائب؟ فقيل: أخوه.

فكتب عنوان الكتاب: من فلان بن فلان إلى أخيه، وجاء فدقّ الباب وقال: معي كتاب من أخي العروس.

فخرج العروس مبادراً فأدخله وأحضر له الطعام؛ فلما قرأ العنوان قال: سبحان الله! تراه نسي اسمي إذ لم يكتبه على الكتاب؟

فقال الطفيلي: وأعجب من هذا أنه لم يكتب داخله شيئاً من العجلة!

فعلم مراده وأدخله.

❁ ❁ ❁

❑ حكى المدائني قال: كان في المدينة امرأةٌ جميلة عفيفةٌ ذات زوج، وكان فتىً من أهل المدينة يتبعها كلما خرجت ويعرض لها، فلما آذاها شكته إلى زوجها. فقال لها: فما عندك في أمره حيلة؟

---

(١) أدرج الكتاب: أي أدخله وضمّنه، ودرّج الكتابَ: طواه ولفّه.

قالت: قد فكرت في شيء إن ساعدتني عليه.

قال: فأنا أساعدك.

فبعثت جاريتها إليه تقول: إن الذي بقلبي منك أكثر مما بقلبك مني، ولكنّي امرأةٌ مستورة ولا أعرف الفساد؛ فكنت أمتنع عليك وفي قلبي النار.

فلما بلغته الرسالة استطار فرحاً وقال للجارية: ما أدري كيف أؤدّي شكرك إذ جرى هذا الأمر على يدك، فبلِّغيها السلام وقولي لها: إني صائر إليك غداً. ووهب للجارية ديناراً.

وطالت ليلته حتى أصبح فوجَّه إليها بجَدْي وفاكهة. فقالت الجارية: قد وجب عليَّ شكرك لإجابتك إياي في حاجة مولاتي، وأنا أشير عليك بحيلة بها يتمُّ أمرك.

قال: وما هي؟

قالت: سيدتي فيها حِشمةٌ وخجل وانقباض عن الرجال، فإذا جلست معك فلا تتعرّض لها بكلامٍ ولا بغيره.

قال: نعم!

وصعدت الجارية فعاونت سيدتها على إصلاح الجدي والطعام، فلما أحكمتاه نزلت الجارية وبسطت لسيدتها

مصلًّى وجاءت فسلَّمت وقعدت، وجاءت الجارية بالطشت والماء فغسلت أيديهما، ووضعت المائدة بينهما، وجاءت بالجدي والطعام.

فحين أخذ المخذول اللقمة فوضعها في فمه جاء الزوج فقرع الباب؛ فوضعت المرأة يدها على رأسها وقالت: افتضحت وهلكت.

فقال: دعي الجزع واحتالي في موضع أكمن فيه إلى خروجه.

قالت: ما أعرف موضعاً يخفى عليه إلاً أن تحلَّ الحمار الذي في الدهليز وتقوم في مكانه.

فقال: افعلي!

فجاءت الجارية إلى حمارٍ يطحن في الدهليز مشدود العينين فَنَحَّتْهُ وربطت المغرور مكانَه. وقالت: اطحن مكان الحمار ولا تمسك فيفطن بك؛ فإني أرجو أن يخرج سريعاً وترجع إلى سرورك.

ثم فتحت الباب ودخل الزوج، فقالت له: خرجت على أن تقيم أياماً، فما الذي جاء بك الساعة؟

قال: كنت عزمت على ذلك فمرّ بي إخوان فعرضت عليهم المقام في الضيعة. فقالوا: لا يمكننا اليوم، ولكننا إن شاء الله تعالى نصير إليك غداً؛ فأردت أن يكون مجيئهم

إلى البيت أسهل عليّ؛ فبادرت إليك لتصلحي ما يحتاجون إليه وخاصة الدقيق، فينبغي ألا يفتر الحمار في الدقيق.

فجلسا يأكلان والمخذول يطحن، والزوج يقول ساعةً بعد ساعة: هاتي العصا لكي أقوم لهذا الحمار الملعون، فإني أراه كسلان؛ ونحن نحتاج إلى الدقيق كثيراً.

فتقوم الجاريةُ فتقول له: اللَّهَ اللَّهَ في نفسك! لا تفتر؛ فإني أخاف أن يقوم فيراك.

فلم يزل يطحن دائباً إلى أن طلع الفجر، فقام الرجل فتهيأ للصلاة وخرج إلى المسجد، فحلّت المغرور وقالت: طر إلى بيتك لئلا يراك إنسان فتفتضح.

فخرج يعدو على وجهه، فدخل إلى منزله وبقي مسبوتاً[1] مطروحاً على وجهه لا يحرك عضواً.

فلما كان بعد مدة قالت المرأة لزوجها: قد بقي علينا شيءٌ من الولع بالمخذول.

قال: شأنك.

فبعثت إليه جاريتها فقالت: مولاتي تقرئك السلام

---

(١) المسبوت هو المغشيّ عليه، وقيل هو الميت، والمسبت من لا يتحرك ولا يفتح عينيه لمرض أو سواه فيكون كالنائم.

وتقول لك: الله يعلم ما تداخل قلبي مما نزل بك؛ ولوددت أني أقيك بنفسي، ولكنَّ المقادير تنزل من السماء، وإني إليك لمشتاقةٌ، فأحب أن تصير إلينا، فإنَّ زوجي قد خرج إلى موضع له فيه مقام شهر، فنستأنس جميعاً ونسترجع ما فاتنا.

فالتفت إليها سريعاً وقال: عسى قد فرغ دقيقكم؟!

❁ ❁ ❁

□ دخل أبو العيناء على بعض الرؤساء بكرةً، فاستسقى ماءً؛ فقال له الرجل: أفي هذا الوقت تعطش؟ قال: أصلحك الله، هذا أمانٌ لك من الغداء.

❁ ❁ ❁

□ وكان أبو عبّاد، وزير المأمون، ضَيِّقاً جداً، قيل له: إن لقمان قال: ما شيء أشد من حمل الغضب.

فقال: ولكنه عندي أخفُّ من الريشة.

قيل له: إنما عنى لقمان أن احتمال الغضب ثقيل.

فقال: والله ما يقوى على الغضب أحدٌ من الناس إلا الجمل.

❁ ❁ ❁

□ وغضب يوماً على بعض أصحابه، فشجَّه بدَواة كانت بين يديه. فقال: صدق الله حيث يقول: والذين إذا ما غضبوا هم يغفرون.

فبلغ ذلك المأمون فضحك، فقال: ويلك! لا تحسن تقرأ آية من كتاب الله تعالى.

قال: يا أمير المؤمنين، والله إني لأحسن أقرأ من سورة واحدة ألف آية.

فضحك المأمون وأمر بإخراجه. ولم يكن جاهلاً، وإنما كان يجري عليه الغلط لفَرْط غيظه.

❁ ❁ ❁

□ وقال المأمون لأحمد بن أبي خالد[1]: صف لي ثابت بن يحيى (يريد أبا عبّاد)، فقال: هو والله أَحَدُّ من سيف سعيد بن العاص.

فقال: والله ما أتبيّن من هذا شيئاً؟

فقال: إن حرَّكته تبين لك الأمر.

فعرض أبو عبّاد يوماً عليه كتاباً وخرج، فلما قرب من الباب أمر المأمون بردِّه؛ فرجع وقد تغيَّر، فخاطبه وتركه ينصرف.

---

(١) أحد قادة المأمون، ويُلقَّب بالأحول.

فلما كاد يركب أمر بردِّه، فلما عرف الرسول تناول الدواة من غلامه، وقال: الساعة والله أضرب بها وجهك يا ابن الخبيثة، كان ينبغي لك أن تقول: قد ذهب إلى النار.

ورجع، فقال له المأمون: اعرِضْ فيما تعرض علي حوائج الهاشميين.

قال: نعم. وقُلْ كلَّ ما تريد فلست أرجع إليك اليوم بعد هذا، ولو قمتَ أنت بنفسك!

فضحك المأمون، وقال: قاتل الله دعبلاً! (يريد قوله):

أَوْلَى الأمورِ بضَيْعَةٍ وفسادِ أمرٌ يدبِّرُه أبو عبّادِ

❁ ❁ ❁

❑ وكان سليمان الأعمش[1] من الضجر بحيث اشتهر وانتشر؛ قال له الإمام أبو حنيفة النعمان: لولا أني أخاف أن أشقَّ عليك لأكثرت زيارتك.

فقال: لا تفعل؛ فأنت تشقّ عليّ والله وأنت في دارك!

❁ ❁ ❁

---

(١) تابعي مشهور، أصله من بلاد الريّ، كان عالماً بالقرآن والحديث والفرائض، يروي نحو ١٣٠٠ حديث. توفي سنة ١٤٨هـ.

❑ وسلَّمَ عليه رجلٌ من أصحابه وقد وجد عِلّةً؛ فقال: كيف بتَّ يا أبا محمد؟

فرد عليه. ثم قال له آخر: كيف بتّ؟

فأخرج مضربته ومخدّته فوضع رأسه عليها؛ وقال: كذا بِتُّ!

❁ ❁ ❁

❑ وقال رجلٌ لصديق له: صِرْ إليَّ نأكل خبزاً وملحاً.

فقام معه وهو يظنُّ هذا الكلام على مجاز ما يقول الناس، فقدَّم إليه خبزاً وملحاً. ووقف سائل بالباب، فقال له: بُورك فيك.

فألحَّ السائل بالمسألة، فقال له: والله لئن قمتُ إليك لأوجعنّك ضرباً.

فقال له الضيف: اذهب، فوالله لو علمتَ من صدق إيعاده ما علمتُ أنا من صدق وعده لم تقف ساعة.

❁ ❁ ❁

❑ اشترى مزيد رأسين فوضعهما بين يدي امرأته وقال: اقعدي نأكل.

فأخذت رأساً فوضعته خلفها وقالت: هذا لأمّي.

فأخذ مزيد الرأس الآخر ووضعه خلفه وقال: هذا لأبي.

قالت: فماذا نأكل؟

قال: ضعي رأس أمك وأضع رأس أبي.

* * *

❑ دخل أشعب على بعض الولاة وكان بخيلاً، وذلك في أول ليلةٍ من شهر رمضان، فأفطر عنده، فقُدِّم جدي، فأمعن فيه أشعب وضاق الوالي. فقال: يا أشعب، إنَّ أهل السجن سألوني أن أوجّه إليهم من يصلّي بهم في هذا الشهر؛ فامضِ وصَلِّ بهم واغنم ثوابهم.

فقال: أيها الأمير؛ أَوَ خِلّةٌ أخرى؟

قال: وما هي؟

قال: أحلف بالطلاق والعتاق ألاّ آكل جدياً ما عشت أبداً.

فضحك منه وأعفاه.



❑ صعد ابن زهير الخُزاعي جبلاً، فأعيا وسقط كالمغشيّ عليه. فقال: يا جبل؛ ما أصنع بك؟ أأضربك؟ لا يوجعك. أأشتمك؟ لا تبالي. يكفيك يوم تكون الجبال كالعهن المنفوش.





رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



أحلى الحكايات

من كتاب

جمع الجواهـــر